www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة




فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

# المنار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

أنشئ ١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صرى « وضاءا » كمنار الطريق

المحرم افتتاح سنة ١٣٥٢ برج الجوزاء سنة ١٣١١ هـ ش مايو سنة ١٩٣٣


# فتاوى المنار

## الوطنية والقومية والعصبية والاسلام

( س ١ - ٦ ) من صاحب الامضاء

صاحب الفضيلة والعالم العلامة الشيخ رشيد رضا أطال الله عمره

تحية وسلاما . وبعد فان في بلادي اندونسيا الان حركة استقلالية قوية وكفاحا مستمراً بين الاندونسيين والمستعمرين ، ولسوء الحظ ظهر في وسط هذا الجهاد وفي خلال هذه المعمعة والنضال ، فريق من علماء الدين ، والحاملين لواء الحق ، يحرمون الوطنية ، ويحاربون الوطنيين باسم الدين الاسلامي وتعاليمه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



ويرمونهم بالمروق ، ويغرون العداوة بين العامة والزعماء والقادة حتى أصبحوا بين نارين نار المستعمرين ، ونار علماء الدين ، وهذا بلا شك بلاء عظيم

أعلم تطور الحركة الوطنية في مصر، وأعلم ان رجال الدين فيها كانوا في طليعة المجاهدين ، والحاملين لواء الوطنية ، وما كانوا يوما ما من ألد أعدائها ، نعم أذكر رجال الازهر ، علماءها وطلابها الذين يقودون المظاهرة تلو المظاهرة، ويسقطون في الميدان والشوارع، فلأجل هذا كله توجهت إلى مقامكم الكريم لاستجلاء هذه الامور والاستفهام عن الاسئلة الآتية ، فاذا تكرمتم بالجواب فقد أسديتم للامة الاندونسية نعما عظيمة ، وبينتم لها طرق الهدى ، وسبل الحق ، وهذه الاسئلة هي ما يأتي :

(١) أصحيح ان هناك أحاديث تحرم الفكرة الوطنية والقومية ؟

(٢) هل قوله « لاعصبية في الاسلام » وقوله « ليس منا من دعا بدعاء الجاهلية » حديثان صريحان في تحريم الوطنية ؟

(٣) هل هناك فاصل بين العصبية والوطنية ؟ وهل الوطنية داخلة في معنى العصبية ؟ ماهي العصبية عند العرب ؟

(٤) ماوجهة نظر الاسلام نحو الفكرة الوطنية وهل هي تعارض الوحدة الاسلامية ؟ وما المقصود بالوحدة الاسلامية ؟

(٥) المعروف ان الشيخ محمد عبده الفيلسوف العظيم أب الوطنية والوطنيين لان في بيته في حلوان نشأ سعد واجتمع رجالات مصر وما رأيكم في هذا باعتباركم ناشر مذهبه وناشر تاريخ حياته !

(٦) مانوع الوطنية التي يجب أن يتحلى بها الشاب المسلم ؟

هذه هي الاسئلة التي أرجو أن تتكرموا بالجواب عنها ويستحسن الجواب على صورة مقالة متسلسلة ولكم مني بالنيابة عن الامة الاندونسية جزيل الشكر والسلام

نصر الدين طه الاندونسي

(جواب المنار) هذه الاسئلة في موضوع مسألة واحدة ذات شعب وقد قدمناها على غيرها لانها أهم من كل ما لدينا من الاسئلة، فنجيب عنها جوابا واحداً مجملا مختصراً لان مابعد هذه الورقة من هذا الجزء قد طبع فنقول: إن العصبية عند العرب نسبة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



إلى العصبة بالتحريك وهم قوم الرجل الذين يتعصبون له أي يحمونه ويحامون عنه وينصرونه ظالماً كان أو مظلوما . وأصل العصبة أقارب الرجل الذين يرثونه ثم توسعوا فيها وهي مأخوذة من العصب وهو شجر اللبلاب الذي يلتوي على الشجر ونحوه. ومن المعلوم من الاسلام بالضرورة أنه يحرم تعصب الظلم للاقارب وللقوم والوطن ويحرم العداوة والشقاق بين المسلمين بتعصب كل فريق لقومه وأهل بلده أو أقليمه على إخوانهم في الدين وغيرهم إلا أهل الحرب . وقد بين النبي ﷺ هذا بقوله « العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم » رواه الامام احمد. ومن المعلوم من الاسلام بالضرورة أيضاً أنه يفرض على أهله عداوة من يعتدي عليهم من الاجانب وقتالهم فقد صرح جميع الفقهاء بأن الجهاد يكون فرضاً عينياً إذا اعتدى العدو على المسلمين أو استولى على بعض بلادهم ، وهذا دفع للظلم ، فمن الجهل الفاضح أن يحرم عليهم ويستدل على تحريمه بعصبية الجاهلية المنهي عنها في بعض الاحاديث كالذي كان بين الاوس والخزرج من الانصار (رض) هذا مجمل الجواب عن الاسئلة الثلاثة الاولى

وأما فكرة الوطنية المصرية فهي عبارة عن اتحاد أهل الوطن المختلفي الاديان وتعاونهم على الدفاع عن وطنهم المشترك وحفظ استقلاله، أو اعادته إن فقد، وعلى عمرانه، فهي لا تظهر في جزائر اندونسية كظهورها في مصر، ونظر الاسلام فيها أنه يوجب على المسلمين الدفاع عمن يدخل في حكمهم من غيرهم ومساواتهم في الاحكام الشرعية العادلة ، فكيف لا يجيز اشتراكهم معهم في الدفاع عن البلاد وحفظ استقلالها والعناية بعمرانها؟ وقد رفع الصحابة (رض) الجزية عمن شاركهم من أهل الذمة في الحرب في خلافة عمر ( رض ) كما بيناه بالشواهد في الجزء العاشر من تفسير المنار

وأما نوع الوطنية التي يجب أن يتحلى بها الشاب المسلم فهو أن يكون أسوة حسنة لاهل وطنه على اختلاف مللهم ونحلهم ومشاركا لهم في كل عمل مشروع لاستقلاله وترقيته بالعلم والفضيلة والقوة والثروة على قاعدة الشرع الاسلامي في تقديم الاقرب فالاقرب في الحقوق والواجبات وأن لا يغفل في خدمته لوطنه وقومه عن كون الاسلام قد كرمه ورفع قدره بجعله أخا لمئات الملايين من المسلمين في العالم فهو عضو لجسم أكبر من قومه ، ووطنه الشخصي جزء من وطنه الملي وانه يجب عليه أن يتحرى جعل ترقي الجزء وسيلة لترقي الكل

وأما الوحدة الاسلامية فهي تتحقق ببضع روابط بيناها في كتابنا (الوحي المحمدي) وفي تفسيرنا ومنارنا فراجعوها وراجعوا في الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام (ص ٩١٧) رأيه في الوطنية والدين، وفي الجزء الثاني منه مقالاته في الجنسية وفي التعصب

# مقدمتنا التصدير

## ( كتاب نقض مطاعن في القرآن الكريم )

﴿ للاستاذ الفاضل الشيخ محمد عرفة وكيل كلية الشريعة بالازهر والمدرس فيها ﴾

( إِنَّ الذينَ كَفَروا بِالذِّكْرِ لَمَّا جاءَهُمْ وإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لاَ يأتِيهِ الباطِلُ مِنْ بينِ يَدَيْهِ وَلاَ مِن خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حكيمٍ حَمِيدٍ ) ( قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنوا هُدًى وَشِفاءٌ ؛ وَالذينَ لاَ يؤْمِنونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهو عليهِمْ عَمًى ، أُولئِكَ ينادَوْنَ مِنْ مكانٍ بَعِيدٍ )

إن من أكبر مصائب الامة الاسلامية أن يبلغ بها الهوان في أكبر أمصارها وأشهرها بالعلم ، وأرجاها للحياة ، أن تعلم أفراداً من نابتتها من العلم ما ترجو أن يكونوا به جنداً لها ينصرها على من يهاجمها من الاعداء في دينها وشرفها وأدبها ، فينقلبوا أنصاراً لاعدائها ، ويهاجموها في أمنع معاقلها وحصونها ، ويحاولوا هدم ما لم تكن لولاه شيئا مذكوراً ، وانما به كانت أمة عزيزة شديدة القوى ، مرجوة الندى ، مرهوبة الشذا ، ذات هداية عليا ، وتشريع عادل ، وحضارة زاهية ، به دانت لها الامم الكثيرة ، وبه نالت الامامة والملك ، ثم يوجد من حكامها ووزرائها من يكرمهم ويأتمنهم على تربية نشئها ، وتعليمه بلغتها ، ماهو شر من تعليم المجاهرين بعداوتها ، الذين يدعونها الى الخروج عن دينها ، ليتم لهم إخضاعها لسلطان الاجنبي ، بغير منازع وجداني .

كان أجرأ هؤلاء العققة (١) كاتب بدأ تعليمه في الازهر ثم في الجامعة

---

(١) جمع عاق بالتشديد اسم فاعل من العقوق وقد اخترته على العاقين على ثقل لفظه لمناسبة معناه ، وللاشارة إلى عدم استعمال عقولهم في عقوقهم ، على ان الادغام يخفف الثقل

المصرية في أول العهد بانشائها ، وصحب في هـذا العهد من لقح ذهنه بالالحاد ، ثم ارسلته الجامعة إلى فرنسة ليدرس أدب اللغات فيها، فغذت فرنسة ذلك اللقاح بما ظهر أثره في العمل ، إذ عاد اليها فجعل من أساتيذها ثم عميداً لكلية الآداب فيها وهو أستاذه الاول في أفكاره ، والمركِس له في تياره .

حذق في صناعة الكتابة ، فكان فيها ذا رشاقة وخلابة ، ألف كتبا وأنشأ مقالات دس في بعضها سموم الالحاد ، وفي بعض آخر مخدرات الاباحة والاغراء بالشهوات ، فنهد للرد عليه فريق من العلماء والادباء ، حتى ضج في الشكوى منه مجلس النواب في عهد رياسة سعد باشا زغلول فأوشك أن ينتقم منه، ورفع أمره الى القضاء فكاد يقضي عليه، بيد أن أنصاره الاقوياء من كبار الوزراء آزروه وظاهروه حتى أنقذوه . ثم قدر الله تعالى أن تخرجه وزارة المعارف من الجامعة في العام الماضي في إثر حملة شديدة جديدة في مجلس النواب ، أظهرت للامة من جنايته على طلبة كلية الآداب فيها ما يرى القراء نقضه في هذا الكتاب .

سُرَّ جميع أهل الغيرة على الدين باخراجه من الجامعة، وإنه ليسرهم أن يسمعوا اليوم من الازهر الشريف صوتا جهوريا في نقض ما أذاعه مجلس النواب من طعن هذا الكاتب على القرآن العظيم ، صوت عالم أزهري، وأديب عصري، و كاتب مجيد غير سياسي، ينقض هذه المطاعن الاخيرة ، وأن يصدر نقضه لها عن دار المنار، التي أسست من أول يوم لخدمة الاسلام ، فكلانا بريء من سياسة الاحزاب ، فلا نحن من أحزاب الحكومة ولا من أحزاب المعارضين لها، ولا من خصومهم ولا من خصومها ، وإنما ننصر ديننا، ابتغاء مرضاة ربنا ، فيما يجب علينا لأمتنا ودولتنا .

ونتمنى لو يصرح هذا الطاعن بأن جميع ما صدر عنه من الطعن على القرآن قولا في الدرس ، وكتابة في الطرس ، كان باطلا ، وانه رجع عنه وتاب منه . وانه يؤمن بأن القرآن كلام الله كله حق ( لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ) فان ما نقل عنه من انه قال انه يؤمن بالله ورسله لا يكفي في صحة توبته مما ذكر ، على ان هذه المطاعن التي ألقاها في دروسه كانت بعد تلك الكلمة التي كان سببها تحقيق النيابة العامة معه في مطاعن كتابه ( في الشعر الجاهلي )

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



اختار الاستاذ صاحب هذا النقض للمطاعن الاخيرة أن يطبعه في مطبعة دار المنار لانها أحق به، وأجدر بنشره، بل رغب إلي أن أشركه في أجره، بالوقوف على تصحيحه، وبما يعن لي من تعليق عليه، وبمقدمة تصدير له، فأقرن كلمه الطيب بكلمي، وأعزز قلمه البليغ بقلمي، وإنها لرُغبى محبوبة للمؤمن بالطبع، ومظاهرة على الحق واجبة في الشرع، وتعاون على البر والتقوى، أمرنا الكتاب العزيز بها، وهو قد وفى نقض المطاعن الجديدة حقه، ووفى عليه بما كان من رد له على ما قبلها من خطيئاته، فأدى الواجب في جزئيات المطاعن الخاصة وزاد عليه، وليس علي إلا أن أقول كلمة وجيزة في النازلة وأهلها من الوجهة العامة:

## النابتة العصرية من الكتاب

نبغ في الربع الثاني من هذا القرن الهجري نابتة من كتاب الادب والسياسة والتاريخ، اقتفوا إثر الافرنج في الاساليب، وما يسمونه النقد التحليلي في الكتابة، ومزج الكلام بالنظريات الحديثة والمسائل العلمية، فكان لما يكتبون رواج ووقع حسن عند جميع المتعلمين على المناهج الحديثة، وأصاب بعضهم به شهرة بما تنشره لهم الجرائد التي يؤيدون سياستها وما تقرظه من مصنفاتهم، ناعتة إياهم بأجل النعوت، والالقاب المحببة إلى النفوس، وناهيك بدعوى تجديد حضارة الامة، وقيادتها إلى حيث تساوي أمم الافرنج في عظمتها، وتمتعها بزينة الدنيا وطيباتها.

وإن لبعض هؤلاء الكتاب مصنفات حرة مستقلة، وهم الذين يخدمون العلم والتاريخ والادب بباعث حب التحقيق، وإن لبعض آخر أهواء سياسية وإلحادية، لمنافع لهم شخصية، على ما بيناه في المنار بالتفصيل وأشرنا اليه آنفا بالاجمال، وهو موضوع كلامنا هذا، وشره وأضره الطعن على القرآن الحكيم

إذا كان يوجد في الاوربيين من يتمحل الطعن على الاسلام، ولا يتنزه عن التسامي إلى انتقاد القرآن، فلهم على ذلك باعثان: باعث ديني وباعث سياسي.

ذلك بأنهم رأوا أن الاسلام قد غلب النصرانية على أمرها في الشرق، وكاد يغلبها في الغرب أيضاً، بعد اعتزاز دولها، واستبحار ثروة كنائسها، وإحكام نظمها، فلم يجدوا وسيلة لصد تياره عن بلادهم، وسلبه لملكهم، وتعريبه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



الشعوبهم ، إلا محاربته بالافتراء عليه والطعن فيه ، وبقتال أهله بالسلاح ، ثم بالسياسة ، فأحكموا نظام الحربين بعد التمهيد لها بتربية الشعوب النصرانية على بغض المسلمين ، وتلقينهم في البيوت والمدارس أن الاسلام هو العدو الاكبر المسيحية ، وما هو إلا أخو المسيحية وصديقها ، والمدافع عن حقها ، والمتمم لاصلاحها ، والمبرىء لنبيها (ع . م) من طعن المفترين ، وشطط الغالين .

ويوجد منهم قوم آخرون لا يدينون بدين ، وقد رأوا من معجزات القرآن ومن أنزل عليه القرآن في العلم وهداية البشر واصلاح شئونهم ما يلجئهم إلى الايمان والاذعان ، إذ لم يجدوا لهذه المعجزات تأويلا ينظمونها به في سمط السنن الكونية ، فتكلفوا التأويل لها ، لابطال كونها من خوارق العادات والآيات الالهية ، فهذه أسباب طعن الافرنج ومريديهم وتلاميذهم من النصارى والملاحدة .

وأما المسلم فلا يعقل أن يبعثه شيء على الطعن في كتاب الله وفي هدي رسوله ، صلوات الله وسلامه عليه وآله ، وهو برهان الكفر والردة ، وكبرى الجنايات القاتلة لهذه الامة ، فان خفي عليه برهان شيء من عقائده ، أو صحة شيء من آياته ، وجب عليه أحد أمرين : إما الجد في طلب العلم بالبحث عما جهل والسؤال عنه ، وإما تفويض الامر في ذلك إلى الله تعالى .

بيد أن في المسلمين الجغرافيين زنادقة منافقين ، وأن منهم ملاحدة شاكين ، وأن من زنادقتهم غاوين مشككين ، يستخدمهم شرار أعداء الاسلام الدينيين والسياسيين ، وأن منهم من يزدلف اليهم بالتشبه بهم ، وبدعوى «التنور» وحرية الفكر والفلسفة ، وإن من النابتة والعامة من ينخدع بشبهات هؤلاء وأولئك ، وتغره دعايتهم بما يزينها من خلابة القول ، ووهم التجديد العصري ، والانسلاخ من تقاليد القديم الذي يصفونه بالخلق البالي ، وإن كان كالفلك لا تخلق جدته ، وكالشمس والقمر لا تبلى محاسنه ، ولا ينطفيء نوره ، وهو القرآن الحكيم

وان لهذا التجديد دعاة من ملاحدتنا يوهمون الدهماء في بلاد الاسلام العربية والاعجمية أن الافرنج ما صاروا أقوى منا وأرقى ثروة وحضارة ، وتمتعا باللذات والشهوات ، إلا بالانسلاخ من الدين ، فأول ما يجب علينا أن نفعله اذا أردنا أن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



تكون مثلهم أن نتجرد أولا من ديننا ، فنكون إباحيين عباداً لشهواتنا، ثم نطلب علومهم وفنونهم فنكون مثلهم ، وهذا غش وخداع بالكذب والبهتان، فهم أشد من شعوب الشرق كلها إحكاما لرابطتهم الدينية ، وعناية بتعليم الدين ونشره ، وبذل الملايين في سبيله (١)

ولكن لهؤلاء الدعاة للالحاد والاباحة شبهات من فلسفة الافرنج وأصول النقد عندهم يروجون بخلابتها الطعن على القرآن بما يفترون عليه ، فنحن نشير اليها أولا ونقفي عليها ، ببطلان بناء نقدهم له على قواعدها ، فاذا هي وأهلها كمن قال الله تعالى فيهم ( قَدْ مَكَرَ الذينَ مِن قَبْلِهِم فأتى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ القَواعِدِ فخرَّ عليهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وأَتَاهُمُ العذابُ من حيثُ لا يَشعُرون )

## قواعد النقد العصري

من أصول النقد العلمي الفلسفي للكلام الذي يسمونه النقد التحليلي أن يعرف أولا تاريخ صاحبه في مزاجه وتربيته الدينية والادبية ، وقومه ، وعشرائه ، ووطنه وحكومته، وأخلاقه ومعيشته ، وأهله وولده ، وعوارض حياته ، وأطوارها الاجتماعية والسياسية والشهوانية وغيرها ، فمن المعلوم بالطبع والعقل أن كل ما يعرض لادراك الانسان ووجدانه يكون له أثر في كلام صاحبه .

فلو كان الانسان مفطوراً على الصدق وألا يقول إلا ما يعتقد ، وألا يكتم شيئا مما يعتقد ، وعلى التوفيق بين اعتقاده وما يعارضه من شعوره ووجدانه، من حب وبغض ، وخوف وطمع ، لكان طريق النقد التحليلي للكلام معبّداً مستقيما قلما يضل سالكه أو يعثر

ولكن الانسان خلق قادراً على الصدق والكذب ، وعرف من سيرة أفراده أنهم يتبعون أهواءهم ومنافعهم، في كلامهم فيرجحون بها الكذب على الصدق، أو

١) ان دول اوربة لتجدد العناية بالدين تعلما وتربية وقد قرأت اليوم برقية في الصحف بأن حكومة النمسة أمرت بجعل اقامة شعائر الدين في مدارسها اجباريا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



إخفاء الحق على إظهاره، إما لجلب منفعة أو لدفع مضرة، إلا من كان له عقيدة دينية أو حكمة عالية تعصمه من الكذب الصريح ولو بالتأول، وقليل ما هم. ولذلك قال بعض الاذكياء: إنما وظيفة اللسان في الانسان إخفاء الحقيقة عن الناس، ولا ريب في أن الشعراء وكتاب السياسة المكتسبين بشعرهم هم أبرع الناس في الكذب والافك، وإبراز الباطل في صورة الحق، والرذيلة في ثوب الفضيلة، والعكس. فهذه مدحضة من مداحض النقد التحليلي في الناقدين والمنتقدين، تتيح لصاحب البصيرة أن يظهر خطأ هؤلاء الكتاب عندنا في كثير مما قالوه ويقولونه في تراجم شعراء العربية ونقد رجال السياسة

ومن هذه المداحض بعض ما يضعونه من الاصول والقواعد الواهية لطبائع الامم وأحوالها الاجتماعية ويرجعون اليها في نقدهم، كالذي كانت الشعوبية تقوله في ذم العرب، ومنه بعض ما قاله الحكيم ابن خلدون بسريان دعايتهم في رأيه على استقلاله فيه، وبنى عليه زعمه أن أكثر حملة العلم في الاسلام من العجم، دع ما تخرَّص به بعض علماء الافرنج من المستشرقين وغيرهم في هذا الباب، وهو ما يعتمد عليه مقلدتهم منافي نقدهم التحليلي، تراهم يعرفون بداوة العرب ويجهلون حضارتها القديمة في جزيرتها ولاسيما السعيدة منها، وفعل جواليها في الحضارات الكلدانية في العراق والفينيقية في سورية والمصرية في مصر

ومن فروع الاغلاط الراجعة إلى هذه الاصول التي أخذها كثيرون بالتسليم فجعلوها من القضايا البرهانية، قول بعض السابقين إن سبب وضع علماء الاعاجم لأكثر معاجم اللغة العربية ولكتب فلسفتها من النحو والبلاغة هو شعورهم بالحاجة اليها لفهم هذه اللغة التي كان يفهمها أهلها بالسليقة

وهذا قول باطل فمن ثم كان تعليله باطلا، فان الواضع لأول معجم للغة هو الخليل بن احمد وهو عربي، وأكثر واضعي سائر المعاجم من العرب كالفيروزبادي وهو قرشي صديقي، وابن سيده وهو عربي أندلسي، وابن منظور وهو عربي أنصاري خزرجي، ولا تتسع هذه المقدمة للتمثيل لسائر العلوم اللغوية والشرعية ومن فروعها ماجرى عليه الدكتور طه حسين في محاضراته الاخيرة في شعر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



أبي تمام والبحتري وابن الرومي، فقد تمحل فيما حاوله تبعاً لغيره من إثبات نسب أعجمي لبعض هؤلاء الشعراء وغيرهم، وتميز شاعريتهم عن غيرها من شاعرية أقرانهم، بتأثير الوراثة الاعجمية في عقولهم ومخيلاتهم، في إثبات الانساب الاعجمية لبعض هؤلاء الشعراء نظر تاريخي ظاهر واضعف دلائله دلالة الاسماء والالقاب، والنسبة الى البلاد، ولكن النظر في إثبات الوراثة الاعجمية في شعرهم أقوى وأظهر، فقد أتى على جيل الروم قرون كثيرة لم ينبغ فيها فيلسوف ولا شاعر يقرن بشعراء العرب في جاهليتهم فضلا عن شعراء حضارتهم، على ان ملكة الشعر لم تكن شائعة منتشرة في الروم كالعرب فيرثها اكثر من كان من سلائلهم، وان بعدت من عهد علمهم وحضارتهم

إذا تمهد هذا أقول :

## نقد كتاب الافرنج للقرآن والنبي (ص) ومقلدهم المسلم

إن كتاب الافرنج من دعاة النصرانية والملاحدة قد وضعوا القرآن المجيد الحكيم والنبي الامي الصادق الامين على مشرحة النقد التحليلي، وأعملوا فيهما مداهم ومباضعهم، وآلات التحليل عندهم، اتباعا لقواعدهم وأصولهم التي أشرنا اليها، فكان عاقبة ذلك أن آمن من كان سليم الفطرة منهم غير جامد على الافكار المادية بنبوة محمد ورسالته، وكون القرآن كلام الله تعالى ووحيه اليه ﷺ وتمحل بعضهم من التعليل والتأويل للمعجزات والآيات العلمية، ما رآه أقرب إلى الجمع بين المعتاد والمعهود في استعداد البشر العقلي والروحي وسنن الاجتماع، وما ثبت في تاريخ محمد ﷺ مما هو من خوارق العادات، مع اجتناب المبالغة في ذم ولا مدح كموسيو مونتيه(١) ومنهم من عرضه في قالب المدح بمثل ما شرحه كارليل في كتابه (الابطال) ومسيو درمنغام في كتابه (حياة محمد) عليه الصلاة والسلام

وأصر الفريق الثالث على افتراء الكذب والبهتان، وأعني بهذا الفريق دعاة الكنيسة، وأعوانهم من رجال السياسة

١) هو مدرس اللغات ....

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



فأما هؤلاء الطاعنون المفترون فالباعث لهم على عملهم خدمة ملتهم ودولهم، وجهاد أقوى عدو لتعاليم كنائسهم وعظمتها على قاعدتهم المشهورة عنهم بلفظ « الغاية تبرر الواسطة » يعنون ان الجريمة التي تكون وسيلة الى مقصد حسن كالكذب تكون بهذه النية من أعمال البر الشريفة ، وهم مأجورون عليه من جمعيات كنائسهم في الدنيا ، والمؤمن منهم بكنيسته وقاعدتها المذكورة يرجو على عمله ثواب الآخرة ودخول الملكوت

وأما أولئك الناقدون من علمائهم المستقلي العقل مادحهم وقادحهم فانهم رأوا أنفسهم تجاه أعظم حادث في تاريخ البشر: رجل أمي ظهر في قوم أميين مشركين من أبعد الشعوب عن الحضارة، وهداية الديانة، والتشريع والفتح وسياسة الشعوب، جاءهم بكتاب فاق جميع كتب الانبياء والحكماء في عبارته وهدايته ، فجمع به وعليه كلمتهم المتفرقة ، وألف بين قلوبهم على ما كان من إحنة وضغن ، وهذب طباعهم على كبر السن، ففتحوا العالم وصاروا أئمة أمم الحضارة وسادتها وملوكها ، كتاب معجز بأسلوبه ونظمه وعلمه ، ونبي ذو معجزات في نفسه وأخلاقه وأعماله وأمته ، لا جرم ان هذا الحادث التاريخي الاعظم يحتاج إلى فهم ونقد وتعظيم وإكبار . مع تكلف إدماجه في المعتاد من كبار العقول وأعلياء الهمم من الناس

وأما مدرس الادب المسلم في الجامعة المصرية التي أسستها الامة المصرية المسلمة بأموال أغنيائها وأوقافها ، وكفلتها الدولة المصرية الاسلامية ، فما الباعث له على الطعن في نبيه الكريم ، وكتاب ربه العلي العظيم ، وجعل الطعن عليهما درسا في الادب يلقح به أذهان طلبة كلية الآداب مصرحا فيه « بأن الباحث الناقد والمفكر الجريء لا يفرق بين القرآن وبين أي كتاب أدبي آخر » والمفروض أنه مؤمن بان القرآن كلام الله ووحيه ، فلا يدخل في عموم تلك القواعد الموضوعة لنقد كلام البشر ؟

هل يستطيع مسلم جريء أو متهور ألا يفرق بين كتاب الله وبين أي كتاب أدبي آخر ، وان كان ككتاب ألف ليلة وليلة ، أو خريدة العجائب مثلا ؟

أم هل يستطيع كافر بالله وكتابه ورسوله وقد أوتي حظا من بلاغة اللغة أو

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



نصيبا من أدب النفس وعلم الأخلاق، او خلاقا من علم الاجتماع وفلسفة التاريخ ، ألا يفرق بين القرآن العظيم الحكيم وبين أي كتاب آخر ؟

أم هل يصدق من يدعي عدم التفرقة في قوله ، وقد اقتصر في نقده على الطعن ، وأسرف فيه حتى أربى على أولئك الاعداء الطاعنين بما لا يعقل انه يعتقده ، وهو مايرى القارىء بيانه في هذا النقض ؟

ألا إن من وراء المعقول ان يكون هذا من النقد النزيه ، الذي يعبرون عنه بالبريء ، فما سببه اذا وماالداعي اليه ؟

## الفرق بين السور المكية والمدنية

من هذه المطاعن ما سببه الجهل بالمكي وللمدني من السور ، ومنها مامنشؤه الجهل بما يدرك منها بالسمع والبصر ، كالذي زعمه في قصر الآيات في القسم المكي ، وطولها في القسم المدني ، وهو مما ذكره علماؤنا ولم يبينوا سببه ، ونحن نبينه هنا بالايجاز فنقول :

إن طول الآيات وقصرها منوط بموضوعها ، ولا دخل فيه لمكان نزولها، فالآيات أو السور التي يراد بها الوعظ والزجر يحسن فيها أن تكون أقصر من آيات الاحكام ، وهي تكثر في القسم المكي لأنه هو المناسب لحال المخاطبين ، من المشركين المعاندين ، كما تكثر الاحكام التفصيلية في السور المدنية لان الخطاب بها للمؤمنين المكلفين ، على أن الآيات الطويلة التي قال « إن الآية الواحدة منها تزيد على عدة سور بتمامها من القسم المكي » قليلة جداً ، بل لاتظهر عام الظهور إلا في آية الاحكام المالية من الدين والرهن وكتابتها والاستشهاد عليها من سورة البقرة ، فهي أطول آية في القرآن تبلغ في المصاحف المطبوعة اثني عشر سطراً ، وهي تزيد على عدة سور من صغار المفصل التي تتلى في الصلوات القصيرة مكيها ومدنيها ، فسورة النصر منها مدنية وهي سطران فقط ، وسورة الزلزلة مدنية وهي أربعة أسطر ومثلها سورة العاديات والمعوذتين وكذا العصر في قول وهي سطر واحد

وآيات الاحكام التي قلما تبلغ نصف تلك الآية الطولى قليلة جداً كآية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



المواريث في سورة النساء ودونها الآية التي في آخرها ، وآية الوضوء وآية الوصية في السفر من سورة المائدة(١) وما عدا ذلك من آيات السور السبع الطول والمئين معتدل بين الطول والقصر ، ومنها المكي والمدني ، وانما تكثر الآيات القصيرة في قسم المفصّل من القرآن لحكمتين ( أولاهما ) أن أكثره وعظ وزجر وعبر ، وسوره أكثرها مكي وهو المناسب لمقتضى الحال في مكة وأهلها لما كان عليه أكابر أهلها في جحودهم وعنادهم وطول باعهم في البلاغة ، لا لانحطاط بيئتهم وسذاجتهم كما زعم ، فانهم كانوا أرقى العرب ذكاء ونباهة وبلاغة(٢)

( وثانيتهما ) أنه أكثر ما يتلى في الصلوات فرضها ونفلها ، طويلها وقصيرها ، فالمناسب أن تكون آياته قصيرة وسوره قصيرة أو متوسطة ليكون كل ما يقرأ منها مستقلا بالفائدة المتدبرة ، والطاعن يجهل كل هذا على ظهوره لان درس التفسير وحكمة القرآن لم يكن مما يعنى به

ومن هذه المطاعن ما سببه الجهل بفنون البلاغة أو الغفلة عنها أو تقليد الافرنج وهو ما عبر عنه بتقطع الفكرة واقتضاب المعاني ، وقد سبقه اليه مستر سايل وغيره ، ولا يتسع هذا المقام لبيانه

## اخلاق النبي وافعاله قبل الهجرة وبعدها

تكلف النقاد من الافرنج قبله أن يجدوا فرقا بين السور المكية والمدنية وبين أخلاق النبي وأحواله في مكة إذ كان فقيراً ضعيفا ، ثم في المدينة بعد أن صار غنيا قويا ، وما كان شرْعه في البلدين إلا شرعا في إبطال الباطل وإحقاق الحق ، وتقرير قواعد الاصلاح وإقامة ميزان العدل ، وما كان في الحالين إلا مثلا في الخلق والعمل ، « والشمسُ رأدَ الضحى كالشمس في الطَّفَل » وما كان مكي القرآن ومدنيه إلا سواء في البلاغة المثلى على ما قيل في تعريفها من مطابقة الكلام لمقتضى الحال ،

---

(١) ومثلهما في الطول آية قيام الليل من سورة المزمل وهي من اول ما نزل بمكة وقيل أول سورة كاملة نزلت فيها

(٢) وتظهر البلاغة في الآيات القصيرة باتم مما تظهر به في الطويلة ولا سيما آيات القصص

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



وعلى ما نقول من أنها عبارة عن بلوغ المتكلم به ما يريد من إصابة موقع الاقناع من العقل ، والوجدان من القلب .

(الر* كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ* اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً)

فكان مقتضى الحال في مكة وأهلها مشركون منكرون للبعث، مستكبرون بما لهم من الثروة والرياسة في العرب، في الذروة من بلاغة اللسان، ولوذعية الاذهان، وجرأة الجنان ـ أن يخاطبوا بالنذر القارعة، والحجج الصادعة، بأبلغ العبارات، وأفصح البينات، في الدعوة إلى التوحيد، وأصول الدين، وقواعد التشريع، وعقائل الفضائل، وهو ما ألممت ببيانه في مقدمة الطبعة الثانية للمجلد الاول من المنار، التي كانت في سنة ١٣٢٧ هـ إذ قلت :

« قد اقتبسنا أسلوب الاجمال قبل التفصيل وقرع الاذهان بالخطابيات الصادعة من القرآن الحكيم ، فان أكثر السور المكية ولا سيما المنزلة في أوائل البعثة قوارع تصخ الجنان ، وتصدع الوجدان ، وتفزع القلوب إلى استشعار الخوف ، وتدعّ العقول إلى إطالة الفكر ، في الخطبين الفائت والعتيد ، والخطرين القريب والبعيد ، وهما عذاب الدنيا بالابادة والاستئصال ، أو الفتح الذاهب بالاستقلال ، وعذاب الآخرة وهو أشد وأقوى، وأنكى وأخزى، بكل من هذا وذاك، أنذرت السور المكية أولئك المخاطبين إذا أصروا على شركهم، ولم يرجعوا بدعوة الاسلام عن ضلالهم وإفكهم ، ويأخذوا بتلك الاصول المجملة ، التي هي الحنيفية السمحة السهلة ، وليست بالشيء الذي ينكره العقل ، أو يستثقله الطبع ، وإنما ذلك تقليد الآباء والاجداد ، يصرف الناس عن سبيل الهدى والرشاد

« راجع تلك السور العزيزة ولا سيما قصار المفصل منها كالحاقة ما الحاقة ، والقارعة ما القارعة ، وإذا وقعت الواقعة ، وإذا الشمس كورت ، وإذا السماء انفطرت ، واذا السماء انشقت ، والذاريات ذروا ، والمرسلات عرفا ، والنازعات غرقا .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



تلك السور التي كانت بنذرها، وفهم القوم لبلاغتها وعبرها، تفزعهم من سماع القرآن، حتى يفروا من الداعي ﷺ من مكان إلى مكان (٧٤: ٥٠ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ * ١١: ٥ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ، أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) ثم ارجع إلى السور المكية الطوال، فلا تجدها تخرج في الاوامر والنواهي عن حد الاجمال، كقوله عز وجل (١٧: ٢٣ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) إلى الآية ٣٧ منها، وقوله بعد إباحة الزينة وإنكار تحريمها وتحريم الطيبات من الرزق (٧: ٣٢ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

## ﴿ قصص القرآن ومزاياها، والتشريعان الاسلامي والاسرائيلي ﴾

هذا ومما امتازت به السور المكية قصص الرسل عليهم السلام مع أقوامهم وما في معانيها من أصول دين الله العام، ومن بيان سننه تعالى في الاقوام، ومن العبر والمواعظ في التهذيب، ونزاهتها من كل ما يخل بالآداب، ومن سوء القدوة في الاخلاق والاعمال، وهي تفضل بذلك كله قصص التوراة كما فصلناه في تفسير المنار، وكذلك تفضلها وتفضل سائر كلام البشر بما في نظم عباراتها، واختلاف أساليبها، من روعة البلاغة ودلائل الاعجاز الخاصة بها، وناهيك بإيرادها في بعض السور بمنتهى الايجاز والاقتصار على موضع العبرة، وفي بعضها بالاسهاب والبسط المشتمل على كثير من أصول الهداية وسنن الاجتماع وأمهات الفضائل — وفي بعض آخر بما هو وسط بينهما، مع اختلاف النظم والاسلوب والفواصل في كل منها، بما يتجلى به الاعجاز أظهر التجلي من ناحية البيان، فوق الاعجاز من ناحية الاخبار بالغيب، وتصحيح أغلاط التاريخ المأثور عند أهل الكتاب،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



بيان خلاصة دين الله ( الاسلام ) في العقائد والهداية التي جاء بها الانبياء عليهم السلام ، ونزاهتهم عما وصمتهم به كتب اليهود من النقائص والآثام .

ولو أن هذه القصص جاءت في السور المدنية لقال المغرور بفلسفة نقده التحليلي : إن محمداً أخذاً كثرها من التوراة لان أهل مكة كانوا يجهلونها ، بل كانوا يجهلون هذا النوع القصصي في كلامهم تاريخه ووضعيه جميعا، وقد عدوا هذا من عيوب الشعر العربي ونقصه عن شعر الأعاجم — ولكانت هذه الشبهة على قوله هذا أدنى أن تشتبه على طلبة الجامعة المصرية والعوام ، من شبهته على وجود تشريع الاحكام الشخصية والمالية والزوجية في القسم المدني، فان الفرق بين التشريعين الاسلامي والاسرائيلي في هذين النوعين وفي غيرهما عظيم جداً، كما أن سبب تفصيله في المدينة دون مكة واضح جداً . وهو أن التشريع العملي مرتبط بسلطان الحكم التنفيذي، فلا تشريع لمن لا يملك حكم التنفيذ، فالاسلامي أرقى وأعلى من الاسرائيلي من كل وجه ، وناهيك بكونه تشريعاً عاما لجميع البشر في جميع الأزمنة والامكنة ، ومن أسسه المساواة في الحق والعدل بين جميع الشعوب والقبائل ، وجميع الافراد فيهما ، لا يميز فيه بين ملك وسوقة ، ولا بين شريف ووضيع ، أو غني وفقير ، أو قوي وضعيف ، والتشريع الاسرائيلي خاص بشعب خاص مبني على تفضيله على جميع الشعوب بنسبه (لحكمة موقوتة بيناها في مواضع من تفسير المنار ) فلا يستطيع هذا الشعب نفسه تنفيذه في هذا العصر إن عاد له الملك الذي يسعى له ، بل هم قد تركوا معظم أحكامه من قبل أن يفقدوا الملك ، والقرآن يعيب عليهم تحريف كتابهم وجهلهم به ، وعدم إقامته ، وإيمانهم ببعضه وكفرهم ببعض ، والنبي ﷺ نهى أصحابه عن النظر في كتبهم ، وأخبرهم أن نبيهم موسى ( ع . م ) لو كان حيا لما وسعه إلا اتباعه، لأنه خاتم النبيين الذي جاء بالدين الكامل والشرع العام لجميع البشر ، كما بشر الله به موسى في التوراة ، وكما بشر به عيسى ( ع . م ) المصلح في شريعته، زد على هذا نعيه عليهم فساد أخلاقهم ولا سيما الحسد، والبخل ، وأكل السحت، واستحلال أكل أموال الناس بالباطل ، ووصفهم بأنهم لا يفقهون ولا يعقلون ألا يستحي من يعلم هذا من مؤمن بالقرآن ونبي القرآن، أو كافر حر الفكر، أنه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



يفضل السور المدنية على المكية بتأثير مجاورة اليهود — وهذا حكمه عليهم — ويدعي استمداد المهاجرين من ثقافتهم وتشريعهم، وهم الذين أصلحوا جميع شعوب البشر بهداية القرآن، والتأسي بأكمل الخلق على الاطلاق ؟؟ وقد أجمع مؤرخو الافرنج وغيرهم على أن أظهر أسباب نجاح الاسلام في انتشاره السريع وفتوحه الكثيرة الظافرة ما كان عليه أهل الملل كلها من فسوق وفساد، والدول كلها من ظلم واستبداد.

هذا ما يتسع له المجال من الفرق بين السور المكية والمدنية بالاجمال، وقد التزمنا في تفسير المنار أن نكتب في آخر تفسير كل سورة خلاصة كلية لما في السورة من الأصول والقواعد العامة التي تشتمل عليها، ومنها الفرق بين المكي والمدني بالتفصيل

فمن راجع خلاصة سورة الأعراف المكية في الجزء التاسع من تفسير المنار يرى في باب توحيد الله إيمانا وعبادة وتشريعا ١٢ أصلا وفي باب الوحي والرسالة ٢٤ أصلا، وفي باب عالم الآخرة والبعث والجزاء ١٢ أصلا، وفي باب أصول التشريع ٩ أصول، وفي باب آيات الله وسننه في الخلق والتكوين ١٤ أصلا، وفي باب سنن الله تعالى في الاجتماع والعمران ٧ أصول

ثم إذا راجع خلاصة سورة الأنفال المدنية في الجزء العاشر يجد في أولها مقدمة في الفرق بين السور المكية والمدنية هذا نصها

«ينبغي أن يتذكر القاريء أن جل السور المكية في أصول الايمان الاعتقادية من الالهيات والوحي والرسالة والبعث والجزاء وغيرها من عالم الغيب، وقصص الرسل مع أقوامهم. ويلي ذلك فيها أصول التشريع الاجمالية العامة، والآداب والفضائل الثابتة، كما بيناه في خلاصة كل من سورتي الأنعام والأعراف. ويتخلل هذا وذاك محاجة المشركين ودعوتهم إلى الايمان بتلك الأصول، ودحض شبهاتهم، وإبطال ضلالاتهم، وتشويه خرافاتهم

وأما السور المدنية فتكثر فيها قواعد الشرع التفصيلية، وأحكام الفروع العملية، بدلا من أصول العقائد الايمانية، وقواعد التشريع العامة المجملة، كما تكثر في بعضها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



محاجة أهل الكتاب ، وبيان ماضلوا فيه عن هداية كتبهم ورسلهم ، ودعوتهم إلى الايمان بخاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين . وفي بعضها بيان ضلالة المنافقين ومفاسدهم كما يرى القاريء للسور المدنية الطول الأربع ( جمع الطولى ) المتقدمة ، وكل من هذا وذاك يقابل مافي السور المكية من بيان بطلان الشرك وغواية أهله

في سورة البقرة تكثر محاجة اليهود وفيها تذكير كثير بقصة موسى معهم ، وفي سورة آل عمران تكثر محاجة النصارى[1] وفي سورة المائدة تكثر محاجة الفريقين ، وفي سورة النساء تكثر الاحكام المتعلقة بالمنافقين ، ويليها في فضائح المنافقين سورة التوبة الآتية . وتكثر في هذه السور الثلاث أحكام القتال ، كما تكثر في هذه السورة (أي سورة الانفال ) اه

ثم إذا راجع خلاصة سورة براءة ( التوبة ) المدنية يجد في أولها ما نصه : « هذه السورة آخر السور المدنية الطول نزولا فيقل فيها ذكر أصول الدين وما يناسبها من الحجج العقلية والسنن الكونية ، وكذا أنواع العبادات البدنية اه

ثم إذا هو قرأ الأبواب والفصول التي لخصنا فيها مافي السورتين من الاصول والقواعد يجد أكثرها في قواعد التشريع الخاص بالقتال والصلح والعهود ، وأحكام المشركين والمنافقين وأهل الكتاب في ذلك ، وكذا القواعد والاصول المالية ، وكل ذي إدراك يفهم أن هذا كله لايعقل أن يكون إلا في القسم المدني دون المكي

## الحروف المفردة في أوائل بعض السور

إن هذه المسألة ما كان ينبغي لمسلم أن يقلد دعاة النصرانية في تشكيك طلاب العلم في القرآن بها وجعلها من مباحث النقد التحليلي في الادب ، (أي كما فعل طه حسين) وقد فند الاستاذ الناقض لمطاعنه رأيه فيه ، وذكرنا فيما علقنا عليه في حاشيته ما سبقه اليه بعض المستشرقين منه ، ونذكر هنا المختار عندنا في هذه المسألة ، وهو ما كتبناه في تفسير ( ألمص ) من أول سورة الاعراف في الجزء الثامن من تفسير المنار وهو :

(١) كان سبب هذا مجيء وفد نصارى نجران ومحاجة النبي (ص) لهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



﴿ المص ﴾ هذه حروف مركبة في الرسم بشكل كلمة ذات أربعة أحرف ، ولكنها تقرأ بأسماء هذه الاحرف ساكنة هكذا : ألف . لام . ميم . صاد . والمختار عندنا أن حكمة افتتاح هذه السورة وأمثالها باسماء حروف ليس لها معنى مفهوم غير مسمى تلك الحروف التي يتركب منها الكلام هي تنبيه السامع إلى ما سيلقى اليه بعد هذا الصوت من الكلام حتى لا يفوته منه شيء . فهي كاداة الافتتاح « ألا » وها التنبيه ، وإنما خصت سور معينة من الطول والمئين والمثاني والمفصل بهذا الضرب من الافتتاح لأن النبي ﷺ كان يتلوها على المشركين بمكة لدعوتهم بها إلى الاسلام وإثبات الوحي والنبوة ، وكلها مكية إلا الزهراوين البقرة وآل عمران — وكانت الدعوة فيهما موجهة إلى أهل الكتاب — وكلها مفتتحة بذكر الكتاب إلا سورة مريم وسورتي العنكبوت والروم وسورة ن ، وفي كل منها معنى مما في هذه السور يتعلق باثبات النبوة والكتاب .

فأما سورة مريم فقد فصلت فيها قصتها بعد قصة يحيى وزكريا المشابهة لها ، ويتلوهما ذكر رسالة إبراهيم وموسى واسماعيل وإدريس مبدوءاً كل منها بقوله تعالى ( واذكر في الكتاب ) والمراد بالكتاب القرآن . فكأنه قال في كل من قصة زكريا ويحيى وقصة مريم وعيسى ( واذكر في الكتاب ) وذكر هذه القصص في القرآن من دلائل كونه من عند الله تعالى لأن النبي ﷺ لم يكن يعلم هذا لاهو ولا قومه كما صرح به في سورة هود بعد تفصيل قصة نوح مع قومه بقوله ( تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ، فاصبر إن العاقبة للمتقين ) وكما قال في آخر سورة يوسف بعد سرد قصته مع إخوته ( ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ) وختمت هذه السورة « أي سورة مريم » بابطال الشرك وإثبات التوحيد ، ونفي اتخاذ الله تعالى للولد ، وتقرير عقيدة البعث والجزاء . فهي بمعنى سائر السور التي كانت تتلى للدعوة ويقصد بها إثبات التوحيد والبعث ورسالة خاتم النبيين وصدق كتابه الحكيم

وأما سورة العنكبوت وسورة الروم فكل منهما قد افتتحت بعد « ألم »

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



بذكر أمر من أهم الامور المتعلقة بالدعوة ، فالاول الفتنة في الدين وهي إيذاء الاقوياء للضعفاء واضطهادهم لأجل إرجاعهم عن دينهم بالقوة القاهرة . كان مشركو قريش يظنون أنهم يطفئون نور الاسلام ويبطلون دعوته بفتنتهم للسابقين اليه ، وأكثرهم من الضعفاء الذين لا ناصر لهم من الاقوياء بحمية نسب ولا ولاء . وكان المضطهدون من المؤمنين يجهلون حكمة الله بظهور أعدائه عليهم . فبين الله في فاتحة هذه السورة أن الفتنة في الدين من سننه تعالى في نظام الاجتماع يمتاز بها الصادقون من الكاذبين ، ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ، وتكون العاقبة للمتقين الصابرين . فكانت السورة جديرة بان تفتتح بالحروف المنبهة لما بعدها .

والامر الثاني الذي افتتحت به سورة الروم هو الإنباء بأمر وقع في عهد النبي ﷺ وما يكن وصل خبره الى قومه - وبما سيعقبه مما هو في ضمير الغيب ، ذلك أن دولة فارس غلبت دولة الروم في القتال الذي قد طال أمره بينهما فأخبر الله رسوله ﷺ بذلك وبأن الامر سيدول وتغلب الروم الفرس في مدي بضع سنين . وبأن الله تعالى ينصر في ذلك اليوم المؤمنين على المشركين ، وقد صدق الخبر وتم الوعد ، فكان كل منهما معجزة من أظهر معجزات القرآن ، والآيات المثبتة لرسالة محمد عليه الصلاة والسلام . ولو فات من تلاها عليهم النبي ﷺ كلمة من أولها لما فهموا مما بعدها شيئا ، فكانت جديرة بأن تبدأ بهذه الحروف المسترعية للاسماع ، المنبهة للاذهان ، وكان هذا بعد انتشار الاسلام بعض الانتشار ، وتصدي رؤساء قريش لمنع الرسول ﷺ من الدعوة وتلاوة القرآن على الناس ، ولا سيما في موسم الحج . وكان السفهاء يلغطون إذا قرأ ويصخبون (٤١ : ٢٦ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) وأما سورة « ن » ففاتحتها وخاتمتها في بيان تعظيم شأن الرسول صاحب الدعوة ﷺ ودفع شبهة الجنون عنه الخ

وقد بينت بعد ما ذكر حكمة هذا التنبيه الذي كان من إصلاح القرآن في أساليب اللغة العربية ، وكونه مما يقتضيه علم النفس ، وبلاغة القول ، وتأثير الخطاب ، فيراجع في التفسير فانه مهم جدا

( نصيحة ) قد علمت أيها المسلم القاريء لهذه المقدمة وهذا الكتاب أن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



الدكتور طه حسين تكلم في القرآن بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ولا باخلاص في النقد التحليلي الذي يعلو القرآن على مدارك أهله وعقولهم وعلمهم باللغة والدين والتشريع ، وإذ كان القرآن أصل الدين فلا ينبغي للمسلم أن يأخذ علم بلاغته وآدابه ، ولا علم هدايته وتشريعه ، إلا عن خواص العلماء بتفسيره ، ويجب عليه أن يرجع اليهم فيما عسى أن يقرأه أو يسمعه لغيرهم من نقد أو طعن أو رأي فيه يخفى عليه

أما دعاية التجديد التي يبثها الملاحدة الاباحيون بعضهم لبعض ويخدعون بها التلاميذ الاغرار ، والمفتونين بتقليد الافرنج فيما يسهل عليهم من طرز (بضمتين جمع طراز) الزينة والشهوات ، فليخبرونا أي شيء جديد جاءوا به مما يرقي الامة في اتحادها وأخلاقها وقوتها وعزتها لنبين لهم خطأهم فيه ، ونحن نقول إنهم ما جاؤا بشيء جديد نافع قط ، بل بالضار المفسد للامة على أنه غير جديد ، بل هو الذي أفسد أمم الحضارة القديمة وأسقط دولها ، وعقلاء أمم أوربة يخافون سقوطها بمقتضى سنة الله فيمن قبلها .

وأما الاسلوب العصري في النقد الذي اعترفنا بحسنه في جملته فهو قديم أيضا وأول واضع لأصوله حكيمنا ابن خلدون ، وجرى عليه شيخنا الاستاذ الامام في رده على موسيو هانوتو بما حمل هذا الوزير على اعتذاره للامام ، وجرى عليه أيضا في مقالات الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية الذي طبع مراراً ، ومنه هذا النقض

وأما ما يكتبه هذا الرجل وأمثاله في مسائل الادب اللغوي والتاريخ فمنه الصحيح المقبول ، ومنه الزائف المردود ، وان تطبيق الحكم على الصحيح منها قد يكون خطأ ظاهراً ، وقد يكون محل نظر واستدلال ، كما وقع للحكيم ابن خلدون واضع هذا الفن . وهذا شأن جميع علماء النظر العقلي والشرعي وغيرهم ، فان خطأ الفقهاء في تطبيق الاحكام على قواعد الاصول أكثر من خطئهم في القواعد نفسها

ومن راجع ما كتبه بعض الحذاق في النقد التحليلي التفصيلي لكتاب (في الادب الجاهلي) علم قيمة بضاعته المزجاة فيه ، والتقليد المحض لكبار الحكماء والعلماء ينافي العلم الصحيح ، فما القول بتقليد من دونهم ، والحكمة ضالة المؤمن أين وجدها فهو أحق بها (فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



# الاسلام ووثنية الهند وزعماؤهما

( مقابلة ومقارنة ومفاضلة في التوحيد والتصوف بمناسبة شهرة غاندي في العالم )

## الفصل الاول

### (١) الاسلام نشأته الاولى وحاله اليوم

الاسلام دين ودولة ، ملة وأمة ، ساد العالم بيسر تعاليمه الدينية وسماحتها وقلتها وموافقتها للفطرة ، وبعدل دولته العام ، ومساواته بين البشر في الاحكام ، وجعل السلطان فيه للامة التي تختار لنفسها الامام ، وبعد إجماعها من أصول الاحكام ، فتح بهذه المزايا ثلاثة أرباع العالم القديم في ثلاثة أرباع قرن تقريبا ، واهتدى به عشرات الملايين فيه من جميع الامم باختيارهم قبل أن يتم القرن الاول

بيد انه ابتلي بعد عصر النور المحمدي وعصر الخلفاء الراشدين المهديين ببدع تغلغلت في تعاليمه وتربيته الدينية بالتدرج فكثرتها وعقدتها حتى جعلتها أضعاف ما جاء الرسول الرؤف الرحيم عن رب العالمين ، وجعلتها حرجا لا يطاق احتمالها ، وسرت سموم فسادها في دوله فجعلتها استبدادية ، وسلبت منها سلطة الامة على خلفائها وسلاطينها ، بتأويلات رجال الدين والشرع ومحريفهم لها ، لاجل أن يشاركوا الحكام في السيادة عليها واستغلال ثروتها ، ولكن انتهى بهم ذلك الى عصر ما عاد يطيق فيه الحكام أحكامهم فصاروا يبعدونهم عن مناصب السياسة ، ويحرمونهم من منصات الرياسة ، إلا أفرادا منهم يخضعون العوام لنفوذهم ، ثم أدى ذلك الى ترك بعض أحكام الشرع الاسلامي نفسه ، ثم الى ترك بعضهم له كله أصوله وفروعه

قام في الامة رجال مصلحون يدعون الأمة الى الرجوع الى دينها الذي وصفه الله باليسر وبرأه من الحرج ، وترك كل ما عرض لاهله من الخرافات والبدع ، والى استعادة حقها في المراقبة على حكامها ، والشورى في أحكامها ، فناوأهم زعماء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



البدع والخرافات من ناحية ، وأرباب الاستبداد من ناحية ثانية ، ومازالت الحرب بين الفريقين سجالا في جميع الاقطار الاسلامية ، لم يستطع قطر منها ولا شعب أن يبلغ من الاصلاح العام ، مابلغته أوربة واليابان ، ولا وثنيو الهند في هذه الايام ، وسبب ذلك أن السواد الأعظم من شعوب الأمة لم يبلغ من الرشد أن يفقه مادعاه اليه المصلحون فيؤلف لهم عصبية تنصرهم على المبتدعين الخرافيين ، وعلى المستبدين المستكبرين ، ولذلك كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى يقول : ياويح الرجل الذي ليس له أمة

ان شئتم أيها المسلمون أن تفقهوا كلمة هذا الامام المصلح الكبير فقد ضرب الزمان لكم أكبر مثل لفقهها ، ترونه بأعينكم ، وتسمعون أخباره كثيرا في صحفكم ، وهو زعيم الهند الكبير المهاتما غاندي

## (٢) زعيم الهندوس وزعيما الاسلام وأمة كل منهما

أتظنون أيها المسلمون أن غاندي أوسع من السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده المصري علما بما تصلح به الامم وتعتز وتنال حقوقها ؟

أتحسبون أنه أشد غيرة على قومه ووطنه منهما على أمتهما وأوطانها ؟

أتتوهمون أنه أصح منهما ايمانا ، أو أقوى حجة وبرهانا ، أو أجرأ جنانا وأفصح لسانا ؟ أتتخيلون أنه أقوى منهما ارادة ، أو أصح عزما وأشد حزما ؟

أم تذهبون الى أن سبب فوزه في سياسته ، سخاؤه ببذل روحه في سبيل أمته (وهو آخر ما أعجب به العالم من اخباره) وانهما كانا يبخلان بها في سبيل أمتهما ؟

كلا : ان كل هذه الفروض والظنون والاوهام ، بعيدة عن ساحة حكيم الشرق والاستاذ الامام ، فطالما عرضا حياتهما للموت والقتل ، بل يعتقد أكثر الناس أوجميعهم ان أولهما قد قتل بالسم قتلا ، ويظن بعضهم أن الثاني كذلك ويرى أكثرهم أنه قتل قهراً . وكان على الرأي الاول مستر الفرد بلنت صديق الامام ، كما صرح به في مذكراته التي نشرت بالعربية في العام الماضي

وأما هذا الوصال في الصيام الذي يصومه غاندي على قاعدة دينهم في تعذيب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



الجسد لتربية النفس فقد حرمه وأبطل قاعدته الاسلام الذي أعطى الجسد حقه والروح حقها ، على أن النبي ﷺ كان يواصل في الصيام وينهى أمته عنه، ويعلل وصاله بأن الله تعالى يطعمه ويسقيه، أي يعطيه قوة الطاعم الشارب كما قالوا

على ان هذين الامامين المجددين قد فعلا لامتهما واوطانهما مالم يفعل غاندي لامته ووطنه : هما اللذان نفخا فيها روح الاصلاح الديني والسياسي والادبي فسرى في جميع شعوبها ولكنه لما يبلغ كماله بعد ، وإنما ظهر غاندي في أمة فيها ألوف من رجال التعليم العالي والتربية الصوفية المبنية على الايمان بوحدة الوجود، وقوة الارادة وبذل المال والنفس فيما توجبه العقيدة ،مع ثروة واسعة ،وجمعيات منظمة ،فوجه ارادته الى إكمال مابدأ به غيره من السعي للوحدة والاستقلال

وأما أمتهما الاسلامية فكانت عند ظهورهما معتلة منحلة ، ليس فيها تربية دينية ولا سياسية ، ولا جمعيات إصلاحية ، وانما كان التعليم الديني مناقشات لفظية في عبارات كتب هي أبعد عن العلم الصحيح من كل ما كتب سلفهم في عصر حياة العلم ، وكان أهل هذا التعليم العقيم في عزلة عن العالم لايشعرون بشيء من أطوار الامم في ترقيها وتدليها ، وقوة دولها وضعفها ، وما تجدد لها من التربية والتعليم والتشريع الموجب للتجديد . وكان تعليمها المدني قاصرا على فئة قليلة تعلم لتكون آلات وأدوات في معمل الحكومة .

يمتاز غاندي ويفضل جميع زعماء قومه بجمعه بين الزعامتين الدينية والسياسية، وفي كهنتهم من الصوفية من هم أعلم منه بالدين وأشد انقطاعا للتنسك فيه، وفي زعمائهم السياسيين من هم أعلم منه بالقوانين وسنن الاجتماع ، ولكن الجمع بين الدين والدنيا إيمانا وعلما وعملا هو الذي آتاه من القوة والتأثير في جمهور أمته ما لم يؤت أحداً من هؤلاء ولا من أولئك ، وبقدر استمساك أمته به واتباعهم له كان تأثير نفوذه في الدولة البريطانية ، فهي في كل بلاد تملكها أو تستعمرها تحترم رجال الدين والدنيا وتستميلهم اليها بقدر نفوذهم في شعوبهم، فما القول فيمن يجمع بين النفوذين الروحي والسياسي ؟ على أنها لم تر بدا من سجنه ، ومنع قومه من لقائه

ولقد كان كل من زعيمي الاسلام الافغاني والمصري عالما دينيا ، وصوفيا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة


روحانيا ، وعالما بكل ما يحتاج اليه الاصلاح العام من علم الدين وفلسفة النفس والاخلاق وسنن الاجتماع وعبر التاريخ، وكان كل منهما كاتبا بليغا ، وخطيبا مفوها، ولو وجدا في الامة الاسلامية ماوجد غاندي من قومه الهندوس لكان ماأحدثاه من الانقلاب تاما كاملا في شعب مستقل أتم الاستقلال ، ولكان ذلك يسري الى سائر الشعوب الاسلامية كما كانا يريدان

## (٣) اقتباس غاندي الاصلاح الذي دعا اليه الافغاني

فالعبرة لنا معشر المسلمين في هذا الفوز الكبير لوثني الهند أن نعلم أن الاصلاح الذي تكون به الامة عزيزة مستقلة لابد أن يكون دينيا دنيويا، ونحن أولى بهذا من الهندوس لانهم انما أخذوه عنا ، ألم تروا أن زعيمهم الاكبر (غاندي) قد صرح أخيرا بأنه يتشبه بنبينا وبعيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام؟ ألم ترو لنا جرائدنا عنه في العام الماضي أنه نصح في بور سعيد لمن زاره من طلاب العلم بمصر من اخواننا مسلمي الهند أن يتشبهوا بالخلفاء الراشدين في سيرتهم العالية ولا سيما قشفهم وعدم مبالاتهم بالشدائد ؟

ألم تنقل لنا قبل ذلك جرائد الهند فسورية ومصر ما أثنى به على نبينا ﷺ وعلى دين الاسلام القويم وشهد بأنه حق وأمر قومه بان يدرسوه باحترام ويحبوه ، ( وقد نشرنا ترجمة قوله فيه في الجزء الثاني من منار السنة الماضية ـ المجلد ٣٢ )

ألم تعلموا أن انقسام الهندوس الى طبقات بعضها مقدس وبعضها رجس وبعضها بين بين هو من أصول دينهم ، وان الاسلام هو الذي جاء بالاخوة العامة وبالمساواة بين جميع البشر وعدم التفاضل بينهم بالطبقات والاجناس والتقاليد، بل بتقوى الله ومعرفته والتقرب اليه بتزكية النفس بالعبادات والفضائل، بعد التخلي عن الشرك والرذائل ؟ وان هذا الذي يدعو اليه غاندي الآن هو من اصلاح الاسلام ؟

ولقد دعانا المصلحان المجددان الافغاني والمصري من قبله الى الجمع بين الاصلاح الديني الروحي والدنيوي المدني والسياسي ، دعوانا بان نكون وسطا بين الدجالين الخرافيين الدينيين ، والمتفرنجين الماديين الاباحيين ، وضربا لنا على ذلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



الامثال،وأقاما الحجج والبراهين ، بأنه سبيل الفوز والفلاح في الدنيا والدين ، فحزبهما هو الحزب الوسط الذي اعترف بسداده عقلاء الاوربيين ،وبأنه لا يرجى بدونه حياة ولا استقلال للمسلمين ، كما بينا ذلك مرارا في المنار ،وفيما بسطناه من سيرتهما في الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام ، ولا سيما فاتحته وخاتمته

## (٤) الدين عندنا وعند الهندوس والوثنية

المعروف عند المسلمين بالاجمال في كل العالم ان دين الاسلام هو دين التوحيد الخالص،وان دين الهنود من البراهمة والبوذية والسيخ وكذا البرس وغيرهم أديان شرك ووثنية ، وان دين اهل الكتاب دين توحيد طرأ عليه ابتداع الشرك والوثنية

ويقل في المسلمين من وصل علمه في هذه الاديان الى تفصيل لهذا الاجمال ، ولا سيما مسلمي العرب والترك والفرس،وقد يوجد من يعلم هذا في علماء الهند الذين اطلعوا على أديان أقوامها وتاريخها ولا سيما مذهبهم في التصوف وتربيتهم عليه

ان التوحيد هو اصل دينهم أو اديانهم أيضا وقد طرأت عليه الوثنية طروءاً ، ولهم فيها فلسفة تجتمع مع وحدة التجلي والشهود ووحدة الوجود عند صوفيتنا، وقد سرى ضرب من وثنيتهم ووثنية غيرهم من اهل الاديان القديمة التي اصلها التوحيد الى أكثر النصارى وضرب منها الى مبتدعي المسلمين الذين نراهم عند الشعور بالحاجة إلى السلطان الالهي الغيبي الأعلى لجلب نفع او دفع ضر من غير طريق الاسباب يتوجهون الى غير الله من الصالحين ، فيدعونهم ويستغيثون بهم ، إما وحدهم وإما لتوسيطهم عند الله بما يسميه عوامهم سوقا او سياقة فيقولون ياسيدي فلان انا سايقك على الله أو على النبي — ويسميه خواصهم توسلا . وقلما يوجد بين هذين الفريقين من يتوجه الى الله وحده مخلصاً له الدين كما امر الله تعالى في آيات الامر باتباع الحنيفية ملة ابراهيم وهو التوجه اليه وحده دون سواه،وفي دعاء افتتاح الصلاة المقتبس منها ( وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين ) الخ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



## (٥) طغمة الدعاة لعبادة القبور باسم التوسل

ويوجد من اصحاب العمائم من يدعو الى ذلك التوجه المشترك المنافي للحنيفية، ويحتج له بان الذي يدعو غير الله من احبابه انما يقصد بدعائه إياهم واستغاثته بهم تقريبهم إياه اليه عز وجل . قال بعضهم في توجيهه من كتاب ألفه للدعوة اليه [ وكل ما في الامر انه يرى نفسه ملطخا بقاذورات المعاصي أبعدته الغفلات عنه تعالى أيما إبعاد ، فيفهم من هذا انه جدير بالحرمان من تحقيق مطالبه وقضاء حاجاته، وله الحق في هذا الفهم فان الله تعالى انما يتقبل من المتقين ، وشؤم المعاصي معروف أثره في الحرمان من الخيرات ] الخ ما قال ، وقرر ان الدعاء والاستغاثة بالموتى وبالاحياء من هؤلاء الاحباب سواء ، لان الموتى منهم احياء في قبورهم يفعلون افعال الاحياء فيها وفي خارجها ، وادخل هذا في باب الكرامات ، التي جعلوها عملا كسبيا لهم جاهلين لمعنى كونها من خوارق العادات ، وواطأه على ضلاله واضلاله ٦٣ عالما ازهريا كما ادعى وذكر أسماءهم وامضاوات أكثرهم بخطوطهم ، وبنى على هذا انه انعقد عليه الاجماع لان سائر علماء الازهر يوافقونهم فيه ، وانه يجب على جميع المسلمين اعتقاده والعمل به ، وانما الاجماع الاصولي اتفاق مجتهدي هذه الامة وليسوا منهم ، بل هو يقول كجمهورهم ان المجتهدين قد انقرضوا من القرن الثالث ، فلو أجمع جميع علماء الازهر لما كان إجماعهم حجة شرعية

هذا عين ما كان يحتج به المشركون الاولون وحكاه الله تعالى عنهم بقوله ( ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ) الخ وقوله ( والذين اتخذوا من دونه اولياء : ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار ) وهو ما يفعله بعض النصارى عند قبور القديسين، فهو مصداق قوله ﷺ « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع » الحديث وهو متفق عليه

ما شرع الله تعالى للعاصي ان يتوجه الى أحد غيره من اوليائه الميتين ولا الاحياء ليقربه اليه ، بل قال ( ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم * وأنيبوا إلى ربكم ) الآية .وقال بعد ذكر مضاعفة العذاب للمشركين والقتلة والزناة ( إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ) فشرع للعصاة التقرب اليه بالتوبة من الذنب والانابة والرجوع اليه عز وجل. والآيات والاحاديث المحكمات في هذا المعنى كثيرة هي أصل الدين في المسألة. وشرع لكل مؤمن انه يتوجه اليه حنيفا أي مائلا عن كل ماسواه ، وأن يدعوه كفاحا في كل ركعة من صلاته بقوله ( إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم ) فيجب أن يطلب منه وحده دون سواه أن يهديه الصراط الذي استقام عليه أحبابه المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، لا أن يطلب ذلك ممن يعتقد أو يظن انه منهم ، بل قال تعالى لأكرمهم عليه السلام ( انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ) اي الهداية بالفعل وانما عليه ﷺ هداية التعليم المرادة بقوله تعالى (وانك لتهدي الى صراط مستقيم) وفاقا لقوله له ( إن عليك إلا البلاغ ) وقل له (قل اني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً ) اي ولا نفعا ولا غيا ففيه احتباك ( قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً * الا بلاغا من الله ورسالاته الخ والآيات في هذا المعنى عديدة

## الفصل الثاني

### (٦) توحيد الاسلام والهندوس ومبتدعتهما وصوفيتهما

إن كتاب الله تعالى قد علمنا انه بعث في كل أمة من الامم رسولا يدعوهم إلى عبادته وحده واجتناب الشرك والطاغوت وإلى العمل الصالح ، وانه لما بعث محمداً خاتم النبيين ﷺ كانت جميع الاديان قد فسدت ببدع الوثنية فبين الاسلام الذي جاء لجميع أهلها دين الله الحق وأن أساسه التوحيد المجرد ، ولا تظنوا أن الهندوس ليس عندهم كهنة يتألهون لهم بدعهم الوثنية كما تأول هذا العالم الازهري واستاذه الدجوي للمستغيثين بالبدوي والدسوقي والمتبولي وابو سريع وغيرهم ممن لا يحصى عددهم ، واحتج لهم بانهم كأجناس الهند المنبوذين ليس لاحدهم ان يتقرب إلى الله تعالى بنفسه ، بل لابد له من أحد هؤلاء المعتقدين ليقربه اليه زلفى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



ولا تظنوا أنه ليس عندهم صوفية لهم من الخوارق ماحار أكبر علماء الانكليز وغيرهم في فهمه أو تأويله ، بل اعترف قدماء صوفيتنا بكشفهم وخوارقهم وسموها ظلمانية أو صورية ، ولا أنه ليس عند طغمة مقلديهم من الحكايات التي يستدلون بها على قضاء الاموات لحاجات المستغيثين بهم ماهو أكبر وأكبر من الحكايات التي يتناقلها عوامنا ، وأكبر مما ينقله النصارى عن سيدة لورد في فرنسة وغيرها .

إن عند الهندوس علماء أقدر من هذا العالم ومن الذين أجازوا كتابه بزعمه ( وهم ٦٣ معمما من المنسوبين إلى المذاهب الاربعة ) على تأويل بدعهم بفلسفة أرقى من هذه الفلسفة الباطلة التي نقلنا لكم كلمة منها ، حتى انهم اقنعوا كثيراً من الانكليز بدينهم فدخلوا فيه ، ونشرت الصحف ان احد دعاة النصرانية من الاميركان قد دخل فيه هو وامرأته ، والمعجبون من الافرنج بدين غاندي كثيرون ، وقد قال بعضهم انه لم يوجد في البشر احد يشبه المسيح مثله او غيره ، فهذا بعض أثر الهندوس في خدمة دينهم الوثني ، فماذا يفعل علماؤنا في خدمة دين التوحيد المصلح لجميع الاديان ؟

ها أنا ذا أذكر لكم محاورة دارت بيني وبين أحد كهنة الهندوس في مدينتهم المقدسة ( بنارس ) في التوحيد عندهم وعندنا ، بعد ان نشرت لكم مسامرة في انتقاد كتب التوحيد وتعليمه عندنا ، كانت بيني وبين الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر فأقمت بها الحجة على ان تعليم التوحيد في الازهر ومعاهد التعليم التي على منهاجه لايصلح في عصرنا هذا للعوام ولا للخواص ، وما يجب من إصلاحه ، ولم يرد عليها شيخ الازهر بكلمة

## ٧) محاورة بيني وبين كاهن هندوسي في التوحيد ووحدة الوجود

في ضحى يوم الاربعاء لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٣٠ ( ٨ ابريل سنة ١٩١٢م ) وصلت الى بنارس ( مدينة الهندوس المقدسة ) فاستقبلني في محطتها ( محمد ممنون حسن خان ) المعاون المسلم لواليها الانكليزي وهو شهم أفغاني الاصل ، وأنزلني ضيفا مكرما في داره بضاحية المدينة وهي في حديقة غناء غبياء فيها بعض الشجر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



المقدس عند الهنود كالبيبل والبيبر ، واذ كنا جالسين في ظل شجرة منها متدلية الاغصان مفتحة الزهر الابيض جاء كاهن من كهنة الدين لزيارة مهراجا من امرائهم محجور عليه لمرض عقلي بكفالة مضيفي، هو مرسل من قبل زوج المهراجا . فلما علمت انه من علماء دينهم أحببت البحث معه بما أدونه هنا

قلت: ما الذي جعل هذا النوع من الشجر ـ وأشرت الى الشجرة التي فوقنا ـ مقدسا؟

قال : ان أوراق هذه الشجرة اذا وضعت على المجدور لا يلبث الجدري أن يذبل ويزول من قريب

قلت : إن صح هذا فهو لا يوجب للشجرة قداسة دينية، فان لشجرة الخروع زيتا يطهر الامعاء من الفساد فيشفي من الذرب والهيضة ، وان لشجرة الكينا مادة تزيل الحمى، ولكل شجرة وكل مخلوق خاصية أيضا

قال : نعم وان كل ذلك ـ أو كل ما في الوجود ـ مظاهر الفيض الإلهي (ونطق كلمة الفيض بالظاء وكان يتكلم باللغة الاوردية ، ويترجم لي كلامه ترجماني السيد عبد الحق الاعظمي رحمه الله تعالى ) فالله تعالى يعبد ويتوجه اليه بمظاهر وجوده ومجالي فيضه وآياته في خلقه

وذكر ان مذهبهم هذا في وحدة الوجود هو الذي ينتهي اليه كبار العارفين منا كشمس الدين التبريزي ومحيي الدين بن عربي وأمثالهم

فرددت عليه بكلام حاصله ان التوحيد الحق الذي جاء به الاسلام المجرد من شوائب الشرك ، الوسط بين افراط صوفية الهند وغيرهم وفلسفتهم في وحدة الوجود ، وتفريط المشركين منهم ومن سواهم في تعديد الاله المعبود ، هو التوجه الى الله تعالى وحده غير مقترن بأحد من خلقه، مهما تكن مراتبهم في مظاهر فيضه ، وحظوظهم من خواصه وآياته في خلقه، وهو المعبر عنه بالحنيفية والموصوف صاحبها بالحنيف . فهكذا يتوجه اليه المسلم الموحد الحنيف عند الدعاء والصلاة والذكر ، يلاحظ انه هو العلي العظيم القاهر فوق عباده، فلا يصوّب نظر قلبه الى مادونه عند وقوفه في حضرة مناجاته ، وبسط اكف الحاجة الى كرمه ، والسجود والذل لعظمته وكبريائه ، وهو قد كرم الانسان بالعبودية له، وفرض عليه مخاطبته

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



كفاحا بغير واسطة ، كما ترى في سورة الفاتحة ، وفي غيرها من آيات كتابه، كقوله فيها وهو ما نقرؤه في كل ركعة من صلاتنا ( إياك نعبد وإياك نستعين ) وقوله في غيرها ( وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا )

وأما اذا نظر المسلم الى كل من هؤلاء المخلوقات وحده فمقتضى كمال التوحيد ألا يحجبه شيء من آياته تعالى فيها وما أودع فيها من جمال وخواص ومنافع لعباده ، عن كونها من آلائه ومظاهر فيضه ، وتجليات أسمائه وصفاته ، ولا عن تسخيره بعضها لبعض في عالم الاسباب، ووقوف كل منها في محيطه، لا يتجاوزه الى مشاركته تعالى في شيء مما هو فوق الاسباب المسخرة والسنن العامة في خلقه ، فهو يعطي كل مخلوق منها حقه، ويعطي ربها وخالقها حقه، ومن ثم لا يشركها معه بشيء ما من التقديس والتعبد ، لا بالذكر ولا بالدعاء ولا بالتوجه ، ولا بوضعها أو وضع شيء مما يذكر بها من صورة أو تمثال أو قبر في بيوت العبادة كالذي تفعلونه في هياكل هذه المدينة ( بنارس ) وغيرها إه

(٨) معابد الهندوس ومعابد غيرهم

في بنارس هذه قبر أبي البشر آدم عليه السلام وقبر زوجه وقبر أمه (ويقال انهم يعبرون بامه عن الطبيعة ) وقبور قضاته ، وهي تحت قباب مصفحة بالذهب، كقبة أمير المؤمنين علي في النجف وقباب غيره من أئمة أبنائه (عليهم السلام والرضوان) في كربلا والكاظمية وغيرهما . وبجانب قبة آدم تمثال العجل الاحمر الذين يزعمون انه كان يمتطيه في انتقاله من مكان الى آخر ، وترى الازهار منثورة عليه ومن حوله

وجميع هذه القبور تعبد بالطواف حولها والتمسح بها ، وتلاوة الادعية والاوراد عندها كغيرها من تماثيل معبوداتهم ، مع الخشوع وبذل الاموال والنذور لها ولسدنتها وكهنتها ، فلا يحسبن الجاهل بالتاريخ وبعقائد الملل والنحل أو التعبدات فيها ان علماء وثنيي الهند يعتقدون ان هذه الاشياء تنفع وتضر بنفسها ، وانهم ليس لهم فلسفة في عباداتها ، كيف وهم أئمة الفلسفة الاولى ولا سيما فلسفة علم النفس والاخلاق والتصوف وتربية الارادة، وعنهم أخذ غيرهم من الشعوب . وقد بينت هذه الحقائق في مواضع من المنار وتفسير القرآن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



أفيصح لنا معشر المسلمين ان نرى وثنيي الهند يقتبسون من ديننا الحق مايصلحون به دينهم الفاسد ، ويبقى فينا من يصرون على البدع الوثنية التي اتبعنا بها سننهم وسنن من قبلهم قبلنا من أهل الكتاب ؟ اما آن لنا ان نعلم اننا في مصر وغيرها مهملون لعلم التوحيد وهو أعلى العرفان الذي يصلح النفوس ويزكيها ، ويربأ بها أن تقبل الاستبداد ، أو تدين بالذل والعبودية لغير خالقها ، وكذا تعليم أخلاق الاسلام وتاريخه ، وان وثنيي الهند وأهل الكتاب اشد عناية بتعليم دينهم منا ؟ أما آن لنا ان نعلم ان فشو هذه الخرافات وتأييد بعض المعممين لها باسم الاسلام ، هو أكبر أسباب ترك أكثر متعلمي المدارس العصرية لهداية الاسلام ، وحسبان بعضهم أنه كغيره من الاديان الوثنية الخرافية ؟

## (٩) الاسلام بين الخرافيين والاباحيين

لقد كاد الاسلام يضيع بين فريقين احدهما غلبت عليه الخرافات والبدع الملصقة بالدين ، فهو يطلب سعادته في الدنيا والآخرة من قبور الميتين ، والآخر استحوذت عليه الشهوات البدنية فارتكس في حمأة الاباحة ، المفسدة للصحة ، المفنية للثروة ، الهادمة لبناء الاسرة . وكل من الفريقين في ضلال مبين ، والعارفون بحقيقة الاسلام الجامع بين مصالح الدنيا والآخرة قد أصبح صوتهم خافتا لفقد الزعامة التي تجمع شملهم ، وتصدي الخرافيين لمحاربتهم ، وتأييد الزعامة الدينية لهؤلاء بمجلة الازهر ، ولم يسبق لهذا نظير في القرون الاخيرة . فالامة ضائعة بين الخرافيين والاباحيين

كتب بعض رجال التاريخ في بعض الصحف أن السيدة زينب بنت الامام الحسين السبط عليهما السلام غير مدفونة في المشهد المبني لها في المسجد المضاف الى هذا الاسم ، فتصدى الخرافيون للرد على هؤلاء المؤرخين ، وكان دليلهم على الاثبات قول الشعراني ان شيخه علياً الخواص قد علم بالكشف وجودها في هذا القبر ، وهذا الكشف الذي يدعونه ليس بحجة شرعية ولا عقلية ولا لغوية ، وكتب الشعراني هذا طافحة بالخرافات التي لا يقبلها عقل ولا دين ، ولعلها أقوى أسباب الاستمساك بها عند كثير من المعممين

من هذه الردود أن أحد علماء الازهر كتب مقالا في الموضوع نشره في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



القطم يقول فيه لمنكر وجود السيدة زينب في هذا القبر ووجود رأس الامام الحسين في القبر المنسوب اليه : إنك « جئت تفجأ المسلمين في اعتقاداتهم المقدسة النبوية فانك تريد أن تطير البقية من دينهم » وذكر از وجود « أبناء النبوة بين ظهرانيهم كما يكون النبي ﷺ بينهم ... وان الامة عامتها وخاصتها يرون الانوار النبوية تتلألأ في مقاماتهم ، والعزة الهاشمية تتجلى على أضرحتهم ، ويحسون بذلك اثناء الزيارة ويشعرون انهم يتوسلون بهم الى الله تعالى في قضاء حوائجهم فتقضى ، وفي شفاء مرضاهم فيشفون »

ويحتجون بمثل هذا على وجود رأس الحسين عليه السلام في المشهد المعروف بمصر ، وأنه حي فيه يقضي حوائج المستغيثين به ، ولا ندري مايقولون في حكمة حياة الرأس وحده في مصر والجسد وحده في العراق ، وكون كل منهما حيا يقضي حوائج الناس أي فلا حاجة مع وجود هذه المقامات الى الطب والاطباء ، ولا الى الاسباب الدنيوية في قضاء الحاجات ، بل لا حاجة الى دعاء الله تعالى وحده فيما وراء الاسباب والعادات

## ( ١٠ ) اقتراح مؤتمر ديني

أيها المسلمون : ان دعاة البدع الخرافية قد نظموا دعايتهم وألفوا لها عصبية يؤيدونها بايهام العامة اجماع علماء الازهر عليها ( وحاشاهم ) وبعجلة مشيخة الازهر وهو ظاهر فيها ، والازهر قوة معنوية لا تنكر ، والعامة قوة أكبر وأخطر ، والله أجل وأكبر ، ودينه أظهر وأنور ، ومعاذ الله أن يجمع علماء الازهر على بدع أحدثها ملاحدة الباطنية وغيرهم بعد عصر النبوة وعهد الائمة وخير قرون الملة ، ولكن آن لأهل البصيرة من المسلمين أن يستبينوا حقيقة هذه الدعاية الجديدة ويمحصوها في جرائدهم بأقلام الاحرار من علماء الازهر الذين لا يخافون انتقام استاذهم الاكبر ، وان يلخصوا هذه البدع في قضايا كلية ، ويطالبوا مجلس الازهر الاعلى بعقد مؤتمر إسلامي عام لبيان الحق فيها ، فان لم يفعل فليطالبوا الحكومة بذلك ، فانه لا يوجد في رجال الحكومة من يستطيع الايمان بهذه الخرافات المبتدعة ، بل هي أكبر أسباب فشو الالحاد في نابتة الامة ، وإننا سنبين صفة هذا المؤتمر وموضوعه في مقال خاص ، اذا أيدت الامة طلبنا له

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



( تعليق على خطبة ملك المملكة العربية السعودية التي لخصناها في الجزء الماضي )

إن ما قرره هذا الملك العربي الهمام من أسباب ضعف المسلمين وتفرقهم هو الحق الواقع الذي لا يقبل المراء ولا المكابرة ، وإن ما ذكره من نعم الله تعالى عليه بالامارة والملك وحب قومه وطاعتهم له صحيح يعرفه له ولهم كل من له وقوف على تاريخه فيهم ، وكذلك ما قاله من حبه للسلم والوفاق ، ومن دلائله اتفاقه مع سيادة إمام اليمن حتى اذا ما وقع الخلاف على جبل عرو حكمه الامام يحيى فيه فحكم على نفسه ، وترك ذلك الجبل الحصين له ، وكان هذا الحكم موضع إعجاب الشعوب العربية والاعجمية ، واستغراب الدول الغربية

وكذلك قوله إنه مسلم سلفي يدعو إلى الاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه الخلفاء الراشدون ، والائمة المجتهدون ، فهو حق تشهد له به خطبه وسيرته في أحكامه بقدر استعداده واستعداد علماء بلاده ، على انتقاد يوجه إلى بعض رجال حكومته منه ما خوطب به ومنه ما لا يحيط به علما ، ومنه ما يقول انه ضرورات قضى بها ضعف الامة وضعف استعدادها ، وكثيراً ما أشرنا إلى هذا المنار وفصلناه لجلالته في المكتوبات الخاصة

وأما الشيء الجديد المبهم في الخطبة فهو قوله « أنا مبشر أدعو لدين الاسلام ولنشره بين الاقوام » فهذا نعده وعداً منه لا يمكنه إيفاؤه إلا بتأسيس جماعة ومدرسة للدعوة والارشاد كالذي سبق لنا في مصر ، والذي قرر مثله المؤتمر الاسلامي الذي عقد في العام الماضي في بيت المقدس

وكذلك قوله إنه يبذل كل مجهوداته لتوحيد الامة العربية وجمع كلمتها ، فهو وعد تطالبه به الشعوب العربية عالمة أنه أقوى دولها وحكوماتها ، وأن مقامه في قلب جزيرتها من الحجاز ونجد يعطيه من قوة المركز ما يزيد قوة جيشه أضعافا مضاعفة ، وحسبنا من قوة جيشه وتأمين بلاده ، وحفظ مركزه من التعدي الخارجي وتمكنه من العمل ، وانما يعوزه العلم والمال ، وهما مما يأتي به الرجال ، اذا صحت النية ووضع النظام لكل عمل من الاعمال ، ومتى وثق المسلمون بهذا فان عربهم وعجمهم يبذلون له ما يستطيعون من المساعدة ، وفقه الله تعالى ووفق سائر ملوك المسلمين لاحياء مجد الاسلام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



# مسألة التجنيس الفرنسي

أتى على دولة فرنسة قرن كامل منذ تم لها الاستيلاء على قطر الجزائر الاسلامي وهي تدبر المكايد لتحويل أهله عن دينهم ، وكان الطريق المعبد لها ولغيرها من دول الافرنج الدعوة إلى النصرانية التي يسمونها « التبشير » ولهم فيها فنون وشؤون ، والتعليم المدرسي وهو قسمان تبشيري وإلحادي ، والتعليم لا يفيد إلا في الاحداث ، لذلك ابتدعت فرنسة طريقين آخرين لتحويل المسلمين الكبار الراشدين عن الاسلام ، آخرهما انتزاع شعب البربر المسلم من الاسلام بالقوة العسكرية القاهرة ، وهو قريب العهد ، وأولهما تجنيسهم بجنسيتها الذي يكون لصاحبه جميع ما للفرنسي الاصلي من الحقوق القانونية وعليه ماعليهم

وهو موضوع حديثنا في هذا الفصل ، ومقتضى هذا التجنيس أن يمرق المسلم من جنسيته الاسلامية ويؤثر أحكام القانون الفرنسي على أحكام كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في النكاح والطلاق والارث وغير ذلك. وهو ارتداد عن الاسلام صريح لا يحتمل التأويل ، ولذلك لم يكن يقدم عليه إلا من لاحظ له من الاسلام إلا التسمية بالاعلام التي لاتزال خاصة بالمسلمين كمحمد ومحمود ومصطفى ، وانما يقدم عليه من غير المارقين المنافقين من لا يعلمون في الغالب أنهم يكونون به كفاراً خالدين في جهنم ، فان سلطان الاسلام على قلوب البشر يمنع أجهلهم بعقائده وأحكامه أن يؤثر عليه غيره ويرتد عنه ارتداداً يكون به عدواً لله ورسوله ﷺ ويحرم على المسلمين أن يزوجوه مسلمة وأن يدفنوه في مقابرهم ، حتى لا تجاور روحه النجسة أرواح موتاهم الطاهرة ، فكان الجاهل بهذه الاحكام وبما هو أشد منها في الاسلام يرى أنه يمكنه أن يتجنس بالجنسية الفرنسية ويظل مسلما ، وان هذا ليس إلا ذنباً يمكن أن يغفره الله له بالكفارات وغيرها لانه لم يرغب فيه إلا ليدفع عن نفسه ظلم حكومته للمسلمين وإرهاقها لهم في أمور دينهم ودنياهم ، ويتمتع بمساواة الفرنسيين في حقوقهم ، على أن هذه الحقوق لا تكون تامة له وإن عادى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



المسلمين ، وعبد المسيح وأمه والقديسين ، أو كفر كلاحدهم بالله وملائكته وكتبه ورسله أجمعين .

ثم إن فرنسة أدخلت خديعة التجنيس في المملكة التونسية منذ عشر سنين كما ذكرنا مخالفة في ذلك شروط الحماية المعقودة بينها وبين حكومة باي تونس ومنها المحافظة على جنسية التونسيين الاسلامية . ولكنها رأت ان الذين يقبلون جنسيتها من أهل تونس أقل ممن يقبلونها من أهل الجزائر لان التونسيين أعلم بأحكام الاسلام من الجزائريين ولهم حكومة ملية صورية ، فحاولت حمل الناس عليه بقوة السيطرة الرسمية ، فخذلت إذ كان فعلها إيقاظا للشعب كله ، فهب يدافع عن دينه ، فقاومته حكومة الحماية بقوتها ، وقوة الحكومة المحلية التي هي آلة بيدها ، فلم تزده القوتان الرسميتان إلا شجاعة واقداما وثباتا ، سنة الله في يقظة الشعوب من رقادها بالاضطهاد والقهر

دفنت السلطة متجنساً بعد آخر في مقابر المسلمين بالقوة العسكرية ، وبنت قبورهم بالاسمنت والحديد كما تبني الحصون الحربية ، وجعلت لها حرساً من الجند شاكي السلاح ، فدرى بالكارثة من لم يكن يدري من العوام والخواص ، ففهم الشعب المؤلف من مليوني مسلم أنه يراد إخراجه من دينه بالقوة القاهرة ، فهاج هيجة عامة لم يبال فيها ماتكون العاقبة ، قيل له إن الحكومة أصدرت فتوى شرعية من شيخي الاسلام شيخ الجامع الاعظم وهو المفتي المالكي ومفتي الحنفية فزاده ذلك هياجا لان مسألة ارتداد المتجنس بالجنسية الفرنسية صارت عنده من المسائل المعلومة بالضرورة لما سبق لنا ولغيرنا من الافتاء بذلك من قبل ، ولافتاء بعض علمائهم وعلماء الشرق في هذا العهد ، والشعوب الاسلامية لاتقيم وزناً للعلماء الرسميين الذين يرونهم آلات في أيدي الحكومات الاسلامية ، ولا سيما الخاضعة لنفوذ أجنبي ، وناهيك بالخضوع للنفوذ الفرنسي .

كان أعظم مظهر لهيجان الشعب التونسي إضراب طلاب العلم في جامع الزيتونة الاعظم وأكثر شيوخهم عن الدروس ، ومشاركتهم لسائر الاهالي في الانكار بالمظاهرات ، وكانت المظاهرات العامة عظيمة ، وكانت الخطب والاناشيد التي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



ألقيت فيها جد مؤثرة ،أنذرت الحكومة الزيتونيين وغيرهم بطشتها بهم فقاروا بالنذر ، ولم يبالوا العقاب المنتظر، وأنشأت محكمة عرفية لعقابهم بالفعل فما زادتهم إلا إقداما وإيمانا ، وانه ليجب علينا أن نوجه نظر الامة الاسلامية في هذه المسألة إلى قضيتين إحداهما دينية تعبدية ، والثانية إسلامية سياسية شرعية

مسألة التجنس من الوجهة الدينية التعبدية

فأما الدينية المحض فانني أرى بعض المسلمين قد شبه عليهم الحكم كون تجنس المسلم بالجنسية الفرنسية ونحوها يعد ردة ومروقا من دين الاسلام، ويرجحون أنه معصية من كبائر المعاصي التي يمكن أن يقترفها صحيح الايمان ، كالزنا والسرقة وشرب الخمر وغيرها من الكبائر التي يتحامى أهل السنة تكفير المسلم بها، إذ يقولون في كتب العقائد: ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ، وان قوله ﷺ «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن» وهو متفق على صحته يجب تأويله بنفي الايمان الكامل أو بغير ذلك

وقد قال لي أحد أصدقائي من فضلاء المسلمين: اذا كان الذي يقبل الجنسية الفرنسية أو غيرها من جنسيات الدول غير الاسلامية يعد كافراً فلا يصح اسلام أحد من الذين يسلمون في أوربة وأمريكة وهم كثيرون ويزدادون في هذه السنين عاما بعد عام ، وان لي أصدقاء منهم أثق بصحة اسلامهم وكانوا يرجعون إلي في كثير من مسائل العبادات والاحكام الاسلامية التي تخفى عليهم اذ كنت بينهم

قلت له إن الفرق عظيم بين الفرنسي الاصلي المقيم في بلاده تحت سلطان دولته اذا أسلم وكان قانون دولته يكرهه على أحكام غير أحكام الاسلام ، وبين المسلم الاصلي الذي يختار لنفسه ترك أحكام الشرع حتى المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة ويستبدل بها أحكام الجنسية التي يختارها عليها

إن صفة الفرنسي الذي يهتدي إلى الاسلام أنه قد آمن بعقائده وأخذ بعباداته ، وفضل شريعته على كل ما يخالفها من شرائع دولته ، فيجب عليه العمل بكل ما يقدر عليه منها وما يعجز عنه وأمكنه أن ينفذه بصورة لا تعارضها حكومته

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



فعل ، كالوصية بجعل تركته من بعده لوارثيه الشرعيين في حكم الاسلام ، وما عجز عنه من كل وجه يكون معذوراً فيه

وأما صفة المسلم الذي يختار الجنسية الفرنسية وأمثالها على الاسلامية فهو أنه قد فضل شرع المكذبين لله ولكتابه ولرسوله خاتم النبيين على شرع الله ، وآثر الاعتزاز بهم على الاعتزاز بدين الله ، وأعان المعتدين على المسلمين في دينهم وشرعهم وملكهم فيما يبغونه منهم ، وما يبغون إلا محو الاسلام من الارض ديناً وتشريعاً وسلطاناً ، وجعل الا خذين به عبيداً أذلاء لهم ، وهذا عين ولايتهم التي نهى الله تعالى عنها وقال ( ومن يتولهم منكم فانه منهم ) فأنى لمسلم أن يجعله من المسلمين بعد إخراج الله تعالى إياه منهم وجعله من أعدائهم ؟

ومن هذا الوجه كتبت عند البحث في هذه المسألة أول مرة أن الذي يقبل هذه الجنسية مختاراً عالما بمعناها وأحكامها لايكون مرتداً عن الاسلام بقبولها ، بل لابد أن يكون كافراً بما جاء به محمد رسول الله ﷺ عن ربه من قبلها . فان المؤمن الموقن لايمكنه أن يفعل ماينا في إيمانه عامداً متعمداً ، وأما المعاصي التي قال علماء السنة انها لاتنقض الايمان فهي مايفعله المؤمن بجهالة من ثوران شهوة أو غضب عليه تنسيه وعيد الله تعالى على الذنب ، أو تضعف عزيمته أن تتغلب على هوى النفس ، كما قيل في تأويل حديث « لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » الخ وتأويل معصية آدم إذ قال الله تعالى ( ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما ) حتى اذا تذكر الوعيد ، دفعه عنه بضرب من التأويل ، كالرجاء في المغفرة بالتوبة والكفارات أو الشفاعة ، ثم لايلبث أن يندم ويتوب ويعمل مايرجو به المغفرة ، وقد قال الله تعالى ( إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما * وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار ، أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما ) فليراجع ما كتبناه في أحكامها من الجزء الرابع من تفسير المنار من شاء

والآيات التي تدل على كفر هذا المتجنس من كتاب الله تعالى غير آية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



التولي التي أشرنا اليه آنفا وما في معناها كثيرة أظهرها في هذا المقام قوله تعالى ( ٤٠:٦٠ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ) الآيات فهي صريحة في ان الذين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت - وهو كل مايخالف حكم الله من أحكام المخالفين - إنما هم منافقون غير مؤمنين بما أنزل الله وان لم يتحاكموا بالفعل، لان الارادة وحدها تنافي الايمان، فكيف اذا نفذها مريدها بالفعل تنفيذا دائما؟ فراجع تفسيرها في الجزء الخامس من تفسير المنار

ومنها قوله تعالى ( ٤:١١٥ ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ) فان هذا المتجنس مشاق للرسول باختياره شرع الاجنبي على شرع الله على لسانه ، ومتبع غير سبيل المؤمنين في أزواجهم من زواج وطلاق وما يتعلق بهما وفي فرائض المواريث وغير ذلك من الاحكام الشخصية والمدنية ، بل هو بهذا التجنس راض ببذل ماله ونفسه في قتال المسلمين إذا دعته دولته إلى ذلك وهي تدعوه عند الحاجة قطعاً.

ففي المسألة أحكام كثيرة مجمع عليها معلومة من دين الاسلام بالضرورة يستحل المتجنس مخالفتها، واستحلالها كفر بالاجماع، والاصل في الاستحلال عدم المبالاة بأمر الله ونهيه لا النطق باللسان فقط. وقد قال الفقهاء إن من اعتقد قبح شيء من هذه الاحكام القطعية أو فضل غيرها يكون مرتداً عن الاسلام ، وهذه مسألة في غاية البداهة

## مسألة التجنس من الوجهة الشرعية السياسية

وأما القضية السياسية الاسلامية في المسألة - وقد أشرنا اليها في عرض الكلام - فنوجز الكلام فيها كالقضية الاولى ومجال التطويل فيها أوسع فنقول :

إن الاسلام دين روحاني ، ونظام دولي اجتماعي سياسي ، وكل جانب من جانبيه هذين معزز للآخر مكمل له ، ولذلك كانت غايته سعادة الدارين - الدنيا والآخرة - فموضوع الجانب الاول تزكية النفس البشرية بالعقائد الصحيحة والعبادات المعقولة ، والاخلاق العالية ، والاعمال الشريفة النافعة ، لتكون أهلا لجوار الله تعالى في جنات الآخرة ، وموضوع النظام الدولي حماية هذا الدين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



وكفالته والدفاع عنه وعن أهله وأوطانه بالقوة، واقامة الحق والعدل والحرية بين أهله وجميع التابعين لدولته من غير أهله، لاقامة العمران، وإظهار سنن الله وأسرار خلقه بترقي نوع الانسان، فالجانب التعبدي الروحاني من الاسلام يكمل النظام المدني بنفخ روح الصدق والاخلاص فيه حتى لاتكون السياسة وسيلة لمطامع الدنيا وشهواتها وظلم الاقوياء للضعفاء فيها، والنظام المدني السياسي يكفل الجانب التعبدي ويمكنه بجعل المتعبدين به أحراراً أعزاء، آمنين على أنفسهم في إقامته لوجه الله تعالى لايخافون فيه لومة لائم، ولا اعتداء معتد، كما بين الله لهم ذلك فيما وعدهم به من استخلافهم في الارض بقوله (٢٤: ٥٥ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون)

ومن المعلوم بالبداهة ان المتجنس بالجنسية الفرنسية إن أمكن عقلا وصح شرعا أن يظل متمسكا بالجانب الروحي من الاسلام بأن يكون مؤمنا بأن كل ماجاء به محمد ﷺ من الدين حق يجب اتباعه فيه بتأوله انه يقدر على القيام بعباداته ويكون عاصياً معذوراً، فلا يمكن عقلا ولا شرعا ان يدعي أنه يظل مستمسكا بالجانب الآخر من الاسلام وهو السياسي الاجتماعي، فانه لامعنى للتجنس إلا خروجه منه، ومن المعلوم بالضرورة أن كلا من جانبي الاسلام شرع الله ودينه، فالمروق من هذا مروق من ذاك وخذل له وجناية عليه

أيها المسلمون الغافلون

لماذا فرض الله الجهاد عليكم بأموالكم وأنفسكم وجعله أقوى آيات الايمان؟ أليس لتأييد دولة الاسلام وحكمه، والدفاع عن داره وأهله؟ لماذا فرض الله الهجرة لحرية العقيدة والوجدان، قبل أن يفرض الجهاد؟ أليس لاجل تأسيس دولة للاسلام؟ لماذا فرض الله الولاية والبراءة وجعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض، في النصرة كما أن الكافرين بعضهم أولياء بعض عليهم؟ ألم تعلموا ان الله تعالى جعل من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



شروط صحة الاسلام الايمان بالكتاب كله ، وجعل الكفر ببعضه كالكفر به كله ، ولم يفرق بين التعبدي والسياسي منه ؟

ومن أدلة هذا وشواهده ان الله وبخ اليهود واحتج عليهم في قتالهم مع مخالفيهم من العرب لاخوانهم من المخالفين لغيرهم ثم فدائهم لاسراهم بقوله : ( أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب . وما الله بغافل عما تعملون ) فهو تعالى قد سمى مخالفتهم لشريعتهم في المسائل الحربية كفرا جزاؤه الخزي والذل في الدنيا واشد عذاب النار في الآخرة . أفيعد مثله من المسلمين إيمانا واسلاما ويجعل جزاؤه عز الدنيا وسعادة الآخرة ؟ وهل حال المسلمين في تونس وغيرها تدل على ذلك؟

أتريدون مع هذا أن تجدوا للخارجين من ولاية الاسلام وجنسيته إلى ولاية المحادين له مخرجا لفظياً من أحكام الردة لاثبات إسلامه ودفنه في مقابر المسلمين خداعا لعامتهم ليقبلوا الخروج مما خرج منه ، والدخول فيما دخل فيه ، إلى أن يزول الاسلام كله من بلادكم بجهل عامتكم ، ونفاق خاصتكم ؟

أرأيتم هذه الصراحة في بيان حقيقة دينكم التي قلما يتجرأ غير صاحب المنار على الجهر بها في صحيفة تنشر ؟ انها لهي بعض ما يجب أن تعلموه وتعملوا به ، ولو صرح لكم بكل مايجب عليكم لرجت الارض رجا ، وقامت عليه جميع دول أوربة وصحفها بل على الاسلام كله ، على أنه قد بين كل شيء في فرص أخرى . ولكن أكثر المسلمين لايقرؤن ، وأكثر الذين يقرؤن منهم لا يفقهون ، وأكثر الذين يفقهون على قلتهم في أنفسهم متحيرون ، لا يدرون ما يعملون ( ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون )

واما أنتم أيها الفرنسيس فحسبكم ظلما وجوراً ، وحسبكم بغياً وفجوراً ، وحسبكم اضطهاداً لدين الحق ، واستعباداً للمستضعفين من الخلق ، واعلموا ان الاسلام لايزول بزوال الدولة العثمانية ، وارتداد الحكومة التركية ، وانكم لم تصيروا آلهة العالم بضعف الدولة الالمانية ، وان صداقة الاسلام خير لكم من عداوته ، فاطلبوها تجدوها ، قبل أن تحتاجوا اليها فلا تجدوها ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



# التبشير أو التنصير في مصر

## ﴿ ماضيه وحاضره ومساعدة الحكومة له ﴾

ليس في مصر من الحملة الدولية الصليبية على الاسلام كل مافي المستعمرات الاوربية منها ، ليس فيها مسألة كمسألة البربر في المغرب ومسألة العلويين في سورية ، ولا كمسألة التجنيس في أفريقية الفرنسية كلها ، ولا كمسألة الجلاء والابادة في طرابلس الغرب وبرقة ، إذ لامجال فيها لهذه الحملات وهي ذات حكومة اسلامية مستقلة بنفسها ، معترف باستقلالها من جميع الدول ، وما كانت سيادة الدولة العثمانية السياسية عليها إلا مزيد حصانة لها ووقاية من هذا النوع من الحرب الصليبية

بيد أن استقلالها وتلك السيادة عليها من قبل لم يكونا واقيين لها ولا للاسلام فيها ولا في تلك الدولة من سائر أنواع الحرب الصليبية ، فقد اعتدى على استقلالها الفرنسيس ثم الانكليز ، وقد اعتدى على اسلامها الفريقان وغيرهما بالتعليم الالحادي وبجميع وسائل التنصير من دعاية لسانية وكتابية وتعليم وتطبيب واغراء واغواء بالمال والشهوات وغير ذلك ، وقد وجدوا من حكومتها المتفرنجة كل مساعدة مالية وإدارية على جميع ذلك ، وكان نجاحهم في التعليم الالحادي أتم من غيره ، فهو الذي جعل نفوذهم السياسي والادبي والاقتصادي يعلو ولا يعلى ، ويحطم كل ماتحته من نفوذ للحكومة المصرية ، ومن حرمة للامة المصرية ، واشتد هذا النفوذ من عهد اسماعيل باشا إلى اليوم ، فكانت مدارس الاجانب الالحادية والتنصيرية تساعد من الحكومة المصرية بالمال ، وبهبة المباني والاراضي ، وباعفاء مايرد لها من بلادها من الكتب المراد بها هدم الاسلام ومن الادوات المدرسية وغيرها من رسوم المكس ( الجمرك ) وكان الوزراء والكبراء ثم الاوساط فالفقراء وما زالوا يعلمون أولادهم ذكرانا وإناثا فيها ، ويفضلون تربية القسيسين والرهبان والراهبات والمبشرين والمبشرات على تربية المدارس المصرية الاميرية وغيرها ، ولم يكن أحد ممن يقذفون بأولادهم أو ينبذونهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



فيها يبالي عاقبة هذا التعليم في جنايته على الدين والدنيا: أما الدنيا فلأن زمامها في أيدي هؤلاء الافرنج فصارت تطلب بالزلفى عندهم، ولقد قال اللورد سالسبوري ان مدارس المبشرين أول خطوات الاستعمار فان أول عملها احداث الشقاق في الامة التي تنشر فيها ... وأما الدين فلأنه لم يعد مما يراد في مصر من التربية والتعليم، إذ قررت الحكومة المصرية جعل ما كان واجباً من تعليمه والعمل به أمراً اختيارياً لا شأن له ولا يطالب التلاميذ به، فصار الدين في مدارسها كالشيء اللقا (اللقا بالفتح ما يلقى ويطرح لعدم الحاجة اليه) وهي تعلم أن أمتها من الافرنج يجعلونهما من الفرائض القطعية التي لا هوادة فيها، ويجبرون عليها كل من يعلمونه من أبناء دينهم ومن المسلمين

زال ما كان من رسوم ماثلة للدين من مدارس الحكومة على ما كان من قلة غنائه، وتعليم الازهر وملحقاته للدين أصبح عقيما في هذا العصر على أنه محصور بين حيطانه في دروس تلك الكتب التي صار ضررها أكبر من نفعها كما بيناه بالبرهان مراراً، وأقمنا الحجة اللسانية به على شيخ الازهر لهذا العهد في محفل حافل، والخرافات الدينية فاشية في الامة من جهة، ونزغات الالحاد والتفرنج من جهة ثانية، فخلا الجو للمبشرين في التعليم الديني بالاساليب العصرية الموافقة لأذهان التلاميذ، ومبدأ الدين فطري في أنفس البشر، فان لم يوجد من يلقن النشء دين الفطرة المعقول قبلوا من يلقنهم أي دين كان قبل الرشد واستقلال العقل

ذلك، ولم يوجد في مصر هيئة دينية حكومية ولا ملية تتولى أمر التربية الاسلامية العامة ومراقبة سيرها في الامة، ولا العناية ببث التعليم الديني السهل والوعظ العام في طبقات الاهالي ولا سيما تعليم البنات، وإرشاد الامهات، كالهيئات البطركية والحاخامية عند النصارى واليهود، ولم يوجد فيها جمعيات اسلامية تتولى ذلك بنظام عام، إلا ما تجدد في هذه السنين الاخيرة من الجمعيات الوعظية الضيقة النطاق، الضعيفة التأثير

## أول من فطن لمقاومة التنصير

كان أول من فطن من المسلمين بأمر تنصيرهم في مصر المصلحان العظيمان السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده في القرن الماضي. وقد كان أول حادثة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



علمت في عهدهما مثل حوادثهم التي فطن لها الجمهور في هذا العهد ، أن طعمة التبشير الامريكانية نصرت فتى مصريا وصارت تعرضه للوعظ العام الذي يحضره كثير من المسلمين في كنيستهم بحي الازبكية ، فكبر ذلك على السيد فعهد إلى جماعة من الايرانيين بخطفه من الكنيسة ووضعه في مكان خفي ففعلوا وذهب هو وتلميذه الأكبر الى ذلك المكان واستتابا الفتى واقنعاه بأن الاسلام هو دين الله.. وسعيا لتلافي مثل هذا الامر لدى الحكومة فلم يسمع لهما احد ، وقد ركبا مرة عربة وذهبا إلى محافظ العاصمة في يوم مطير كثير الوحل للاستعانة به على انقاذه فلم يحفل بسعيهما ، فقال السيد للشيخ : انه والله ليس في مصر مسلم غيري وغيرك.

## أول من اقترح مراقبة الحكومة للمدارس الاجنبية فتقرر

قد كان الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده أول من فكر في خطر المدارس الاجنبيه على مصر فاقترح على مجلس المعارف الاعلى الذي ألف في مصر بسعيه سنة ١٢٩٨ هـ [١٨٨١م] أن يقرر جعل جميع مدارس الاجانب في القطر المصري تحت مراقبة الحكومة وتفتيشها وقد كان من معارضة أعضائه من الاجانب لهذا الاقتراح ما كان وكان من فوزه فيه بالوسائل الذي اتخذها له ماهو من عجائب اعماله في خدمة الامة ( يراجع ذلك في ص١٤٤ من تاريخ الاستاذ الامام )

وكان يجب على الحكومة المصرية أن تتخذ هذا القرار قانونا متبعاً دائما ولكن البلاد نكبت في ذلك العهد بالاحتلال الانكليزي في إثر الثورة العرابية ففقدت حكومتها كل سلطان كان لها على التعليم وغير التعليم، وألقيت مقاليد وزارة المعارف المصرية في يد قنصل انكليزي (مبشر) جعل سكرتيراً لها فستشاراً ، وكان من أمر التعليم الاسلامي والتربية في مدارسها ما أشرنا اليه آنفاً، وقد اعترفت انكلترة لمصر بعد الحرب الكبرى بالاستقلال مقيداً بتحفظات لا تمس التعليم الحكومي ولكن الدين الاسلامي لم يزدد بذلك إلا ضعفاً في مدارس الحكومة والاوقاف العامة والخاصة بالبيت المالك، ويعارضه قوة دين النصرانية في جميع المدارس الاجنبية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



## مساعدة الاحتلال للتنصير واضطهاد المنار

بلغ من مساعدة الاحتلال الانكليزي لدعاية المبشرين بسيطرتها على الحكومة أن أمر اللورد كتشنر وزير الاوقاف بالغاء المستشفى الذي بنته الوزارة في مصر القديمة بجوار مستشفى ( هرمن ) التبشيري لأنه يصرف كثيراً من فقراء المسلمين عنه فيحرمون من التبشير بالنصرانية ، فوعده الوزير بأن سيبحث له عن مكان بعيد عن مستشفى التبشير يصلح له فينقله اليه ولكن الله تعالى صرف اللورد المستبد عن هذه البلاد قبل أن ينفذ أمره هذا .

وقد أمر اللورد بما هو شر من ذلك استبداداً وتحكما في هذه الحكومة الصورية لمساعدة النصرانية على الاسلام، أمر بتعطيل مجلة المنار لأنها ترد على المبشرين وبنى ذلك على مقالة نشرت فيه بامضاء الدكتور محمد توفيق صدقي رحمه الله تعالى قالوا إنها شديدة اللهجة، وقد كتب اللورد على الجزء الذي نشرنا فيه تلك المقالة بخطه ما كتب وأرسلها إلى النائب العام ليقيم الدعوى على صاحب المنار ويحكم بعقابه وتعطيل مجلته

وكان النائب العام عبد الخالق ثروت باشا والوزارة وزارة محمد سعيد باشا ( رحمها الله تعالى ) فكبر عليهما أن يعطلا المجلة الاسلامية الوحيدة التي تنشر مزايا الاسلام وفضائله وتدافع عنه تجاه مجلات وكتب كثيرة للمبشرين فاجتمعا وتفاوضا في الامر فاتفقا على أن يحاولا اقناعي بترك الرد على المبشرين والكلام في النصرانية ليتوسلا بذلك إلى إقناع اللورد بعدم تعطيل المنار، فكلمني ثروت باشا بالمسرة [ التلفون ] انه يريد أن يكلمني في أمر مهم في داره إن لم يكن لدي مانع من زيارته فيها في تلك الساعة أو عندي وكنت في مدرسة الدعوة والارشاد فأجبته مخبراً بوجود المانع فجاء بنفسه وأطلعني على الكتابة الانكليزية التي كتبها اللورد على المنار وأخبرني الخبر وسألني عن رأيي فيه فقلت له إنني لن أدع الرد على المبشرين ماداموا يطعنون في الاسلام ويدعون المسلمين إلى دينهم، لان الرد عليهم وتفنيد شبهاتهم فرض من فروض الكفاية لا أرى في البلاد مجلة ولا جريدة تقوم بها ، فان تركتها كنت آثما كجميع القادرين عليها . قال : إن دولة رئيس النظار يسوءه تعطيل المنار كما يسوءني ونود أن تساعدنا على اتقاء هذا الشر ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



وهو يرجوك أن تقابله في داره وتأتي معك بالدكتور محمد توفيق صدقي وتخبره بالوقت الذي تحضران فيه وأنا سأكون عنده لننظر في المسألة، ففعلت

جئت الوزير الرئيس بالدكتور في الموعد الذي اتفقنا عليه وكان قد علم من النائب العام أنني لن أكف عن الرد على المبشرين فأمر بدخولي عليه وحدي أولا وبوضع الدكتور في حجرة الانتظار إلى أن يطلبه لأنه كره أن يسمع مايدور بيننا من الكلام الحر الصريح وكان ثروت باشا قد حضر، فبدأ الوزير يذكرني بسيطرة الانكليز على البلاد وشأن المبشرين عندهم وأنهم ضاقوا ذرعا بما ينشر في المنار من الطعن في دينهم حتى طلبوا من الحكومة محاكمته لعقابه وتعطيله، وأنه يشق عليه ذلك لعلمه بقيمة خدمة المنار للاسلام، ويرغب إلي أن أكف عن ذلك ليتخذه حجة على اقناع اللورد كتشنر بالعدول عن اقتراحه أو أمره الذي علمته

قلت إن ماأنشره في المنار قسمان: أحدهما تفسير آيات القرآن التي نزلت في شأن النصارى ودينهم فلا بد من بيان معانيها واقامة ماعندنا من الدلائل الدينية والعقلية والتاريخية على صحتها. وثانيهما مقالات في الرد على المبشرين المعتدين علينا في بلادنا: وهذا فرض من فروض الكفاية الخ

قال انك لاتقتصر على الرد بل تهاجمهم كثيراً.

قلت مايوجد في المنار من هجوم فهو في ميدان الدفاع إذ كانوا هم المعتدين في الاصل، وإنما يتحقق معنى هجوم الاعتداء في اعلان الحرب وبدئها لافي كل معركة منها، فاذا كان لهم الحرية في هذا دون المسلمين في حكومتنا فلتحكم علي هذه الحكومة بما تشاء ... وتكلمت كلاما شديداً في حقوق الاسلام ووجوب الهجرة من مصر اذا فقدت حرية الدين، وأجابني الوزير بصراحة غريبة في استبداد الانكليز لاحاجة إلى شرحها

ثم قال إن ماتكتبه أنت بقلمك تتحرى فيه الادب واتقاء ما يمنعه القانون ويعاقب عليه ويمكننا أن ندافع عنك بأن مجلتك دينية تقوم بوظيفتها، وليس كذلك تلميذك الدكتور محمد توفيق صدقي فهو شديد اللهجة ويكتب ما يعد طعنا صريحا في الديانة المسيحية لا بيانا لعقائد الاسلام ولا مناظرة للمبشرين، فأرى أن تساعدنا عليه عند الكلام معه وانذاره ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



ثم طلب الدكتور فحضر فكلمه الوزير بأن مايكتبه في الديانة المسيحية ليس من شأنه ، وقد يفضي إلى عقابه وعزله من وظيفته في الحكومة، وهو يمضيه باسمه مع ذكر وظيفته ، والذي ينبغي له أن يكتبه في المنار وغيره هو الوصايا الصحية والمقالات العلمية والطبية، فان كان لابد له من كتابة مثل هذه الردود فيجب عليه اجتناب مايعد طعناً لابحثاً وأن لايمضيه باسمه الصريح . فوعد الدكتور بذلك

هذا ملخص ماوقع في هذه الحادثة وقد كتبت عقبها في آخر المجلد السادس عشر من المنار مانصه :

## ﴿ حرية المسلمين الدينية بمصر ﴾

لدعاة النصرانية ( المبشرين ) عدة مدارس ومستشفيات وصحف في مصر لاغرض لهم منها إلا تنصير المسلمين ، وقد ساعدتهم الحكومة المصرية على إنشاء مدارسهم ومستشفياتهم باسم نشر العلم وعمل الخير ، ثم انهم ينشرون في كل سنة عدة كتب ورسائل في الطعن في القرآن والنبي عليه الصلاة والسلام، وتنفير المسلمين من الاسلام . دع النشرات والاوراق الصغيرة التي ينثرونها في المستشفيات ، والخطب التي يلقونها فيها وفي سائر معاهد التبشير . وقد عز عليهم مع هذا أن يكون للمسلمين في هذا القطر الاسلامي كله صحيفة اسلامية واحدة ترد عليهم وتدافع عن الاسلام ، فسعوا بواسطة بعض قناصلهم إلى لورد كتشنر ورغبوا اليه أن يأمر الحكومة المصرية بالغاء مجلة المنار وإبطال صدورها ، وبمحاكمة صاحبها هو والدكتور صدقي الذي يساعده في الرد عليهم! أليس من عجائب الغلو في تعصب القوم أن يسعى إلى هذا أو يتحدث به أو يفكر فيه بعض أبناء الامتين الامريكية والانكليزية ، أعرق أمم الافرنج في احترام الحرية؟

وقد سئلنا عما ينشر في المنار من الرد على النصارى فأجبنا : إننا أقدمنا على هذا العمل مدافعين لامهاجمين ، وان هؤلاء المبشرين قد كتبوا في الطعن في ديننا أضعاف ما كتبنا ، وان هذا الرد واجب علينا شرعا بل هو من فرائض الكفاية اذا لم يقم به بعض المسلمين أثم الجميع ، وانه يجب على المسلمين الهجرة من البلاد التي ليس لهم حرية فيها في إظهار دينهم والدفاع عنه ، واننا مع هذا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



نفضل أن يسكت هؤلاء المعتدون عنا ونسكت عنهم

على ان مجالهم في الرد علينا أوسع ، لاننا نؤمن بنبيهم وكتابهم الذي أنزله الله عليه ونعد الطعن فيه كفراً كالطعن في نبينا بلا فرق . فلا نستطيع أن نقول كما يقولون ، ولا ان نخوض كما يخوضون

ألا انه لم يكن يظن أحد من الناس ان الحرية التي كانت مصر تفاخر فيها أوربة من كل وجه تتضاءل بعد لورد كرومر حتى يطمع الطامعون فيها بمثل ماذكرنا وهي التي رفعت اسم انكلترة حتى صار جميع مسلمي الأرض يفضلونها على جميع دول أوربة ، ضعفت في مصر الحرية السياسية فخفف على الناس المصاب فيها راحتهم من أولئك الاحداث السفهاء ، فاذا اضطهدت الحرية الدينية فأي شيء يخفف على المسلمين مصابها ويعزيهم عنها ؟ على ان الذي ظهر لنا ان أولي الشأن قد أقنعوا أولئك السعاة المحالين (بل لورد كتشنر) بأنهم هم المعتدون وانه يصدق على المنار وعليهم « واحدة بواحدة ـ بل بمئات ـ والباديء أظلم» اه

هذا مافعله المبشرون في مصر من السعي لتعطيل المنار وقد فعلوا مثله في السودان فكانت حكومته أطوع لهم لانها انكليزية خالصة فصادرت كل ماأرسل إلى السودان حتى المسجل منه وأحرقته ومنعت دخوله في تلك البلاد واستمر هذا المنع إلى سنة ١٣٤٥ ثم طلبنا من حكومة السودان الحاضرة الاذن به فأذنت

كان يقع لنا مثل هذا فلانهن لما أصابنا في سبيل الله ، ومشيخة الازهر لاتبدىء في الدفاع عن الاسلام ولا تعيد، والامة في شغل عن المبشرين بالسياسة أو الشهوات ، حتى تفاقم شرهم ، وصار مثل القس زويمر منهم يدخل الازهر ويزور بعض علمائه في بيوتهم داعياً إلى النصرانية ، حتى كاد يبطش به صديقنا الاستاذ الشيخ علي سرور الزنكلوني في الازهر مرة واشتهرت الحادثة . ولكن الامة قد استيقظت في هذه السنة بكثرة ما تنشره الجرائد من حوادثهم كاستمالتهم للشبان بالنساء الجميلات، وقلب أفكارهم بالتنويم المغناطيسي، وإغوائهم للبنات في مدارسهم، بالترغيب والترهيب، وكذا الضرب والتعذيب ، وليس للحكومة عندهم أدنى قيمة. وسنبين في الجزء التالي مايجب عمله في كف عدوانهم .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



# تقريظ المطبوعات الجديدة

( بقية ما كتبناه للجزء الماضي من الرد على كتاب فريد أفندي وجدي (الاسلام دين عام خالد ) وزعمه فيه ان الاسلام هو أن يعمل كل انسان بعلمه وعقله وتفكيره بدون تلقين من أحد ، وهو مافسر به دين الفطرة أي الطبيعة . وهذا الزعم هدم لدين القرآن لا تفسير له ، ولا توحيد لجميع الاديان به كما يزعم ، ويعلم القاريء بطلان زعمه بالايجاز مما يأتي : )

(١) الانسان عالم اجتماعي يعيش بالتعاون العلمي والعملي وتنمي معارفه كلها بتلقي بعض أفراده من بعض حتى إنه يستحيل ان يكون لكل فرد دين هو وليد فكره وعقله وحده لم يتلق منه شيئا عن عشرائه ، ومن انفرد بشيء فقلما يوافقه عليه قومه ، إذن يستحيل أن يكون ما ذكره هو الدين في كل قوم أو في البشر كلهم ، فتعين أنه يريد أن يكون لكل فرد دين يصح أن يسمى الاسلام

(٢) إن كانت الطبيعة التي يولد عليها كل طفل من البشر هي دين الله الحق الذي سماه الاسلام فكل ما يهتدي اليه الانسان من أول نشأته الى آخر حياته بعلمه وتفكيره وعقله هو دين الاسلام ، ومنه عبادة بعض الحشرات وغيرها من حيوان ونبات وجماد ، وهو يقتضي ان قبائل الهمج من معطلة ووثنية كلهم على الاسلام - وان الذي لا يصح أن يكون من دين الاسلام هو ما جاءهم به النبيون المرسلون لانه تلقين تلقوه من الوحي ولقنوه للناس ، لم يكن مما وصلوا اليه بعلمهم وتفكيرهم

(٣) هل فهم أولئك العلماء المنتهون من تراجم القرآن بلغاتهم ( وهو يشهد لها بالصحة والدقة في تحديد معانيه ) هذا المعنى الذي قرره في الآية؟ وهل كان له من الوقع العظيم في عقولهم ماوصفه وصاروا به مسلمين مؤمنين بنبوة محمد ﷺ وبكون القرآن كلام الله تعالى ؟ أم هي مترجمة بلغاتهم بغير المعنى الذي فسرها هو به فيكون إيمانهم موقوفا على اطلاعهم على تفسيره ؟ وكيف السبيل الى اقتناعهم بتفسيره لها في هذه الحال وترجيحه على ما يخالفه من فهم علمائهم وعلماء المسلمين كافة ؟

( ٤ ) اذا أعجب هؤلاء العلماء المنتهون بهذه الآية من القرآن ، وبالآية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



الجامعة بين تنزيه الخالق عز وجل ووصفه ببعض صفات خلقه وهي ( ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ) وأكبروا مخاطبة البشر بها من زهاء أربعة عشر قرنا كما قال ، واتخذوها منهاجا من مناهجهم العلمية الكسبية بعقولهم ، يسيرون عليها في تطلابهم للوصول الى روح الوجود العام ، أو وصاله وصال العشاق للمعشوقات ، وكان الاستاذ محمد فريد أفندي وجدي يعدهم بهذا مسلمين دائنين بدين القرآن وان لم يتبعوا ما أنزله الله تعالى فيه من عقائد وعبادات وآداب وشرائع ، ولم ينتهوا عما نهى عنه من المحرمات والرذائل ، لان هذه الاصول والفروع من الدين مما يحتاج اليه من دونهم من الطبقتين الوسطى والدنيا في رأيه ، إن فرضنا صحة هذا كله فأي ربح للاسلام القديم وأهله منهم في حفظ دين القرآن وتجديدهم إياه بفلسفته هو وما هو إلا اسلامه دون اسلام محمد ﷺ وأتباعه ؟ أم يريد أن يكونوا أتباعا له في هذا فيسمون محمديين وجديين ؟

(٥) من هؤلاء العلماء المنتهون وكم عددهم ؟ أليسوا أفراد الفلاسفة والعلماء الذين انقطع كل منهم لاتقان مسألة أو مسائل من النظريات العقلية والاجتماعية او العلوم والفنون فلا يكاد يعنى بغيرها ؟ ان هؤلاء اذا وافقوا القرآن في بعض آياته فانما يوافقونه كما يوافق كل منهم غيره فيما يستحسنه من رأيه لا لاعتقادهم انه كلام ( روح الوجود العام ) الذي هو اقرب وسائل الوصول اليه والزلفى عنده ، وانما هو الوسيلة الى ذلك ببيان الرسول له بأمره ، ولن يكونوا مسلمين الا بهذا الايمان ، وبما يستلزمه من الاعمال ، ولن يصلوا الى أعلى ما يمكن للبشر أن يصلوا إليه في الدنيا من معرفة الله عز وجل والكمال في حبه المؤهل لما هو فوق ذلك في الآخرة إلا بهذا الايمان والاسلام ، دون الاسلام الذي اخترعه محمد فريد افندي وجدي.

(٦) ان تسميته ما فعلته الجمهورية التركية من رفض الاسلام كله واجبار شعبها على اتباع ترجمة القرآن بالتركية وكتابته بالحروف اللاتينية والتعبد بها مع اعتقادهم انه حرام أو كفر ، قد يكون عنده من اسلام المنتهين وهو في اعتقاد جميع المسلمين كفر وارتداد عن الاسلام ممن كان مسلما ، فما باله يخاطب به المسلمين في جريدة سياسية يومية ( جريدة الجهاد ) ملبسا عليهم بأنه مجدد للاسلام ؟

( ٧ ) ليخبرنا الاستاذ فريد أفندي وجدي عمن يعرف في قومه الترك من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



هؤلاء العلماء المنتهين الهائمين في حب روح الوجود العام المتطلعين لوصاله ؟ هل مصطفى باشا كمال وعصمت باشا وأمثالهم من رجال الحرب منهم؟ وما حقيقة العبقرية التي زعم ان الترك فاقوا بها غيرهم من الشعوب فأقر هو بسببها حكومتهم العسكرية على رفضها للشريعة الاسلامية المشتملة على كل ما تحتاج اليه الطبقة الوسطى والطبقة الدنيا من هداية الدين مما لا يوجد في غيرها ، وقد فضلت هذه الحكومة شرائع سويسرة وايطالية وغيرهما عليها، ولم تستطع أن تسن شريعة تركية لائقة بعبقريتها ؟

إن كانت هذه العبقرية هي استبسالهم في ظفرهم على اليونان الضعيفة في عقر دارهم وقلب وطنهم وهو الاناضول فكيف يطمع في اقناع الامم الفاتحة التي قهرت الترك ومن هم أقوى من الترك بقبول الاسلام الصحيح أو باسلامه هو وكلها متعصبة لاديانها؟

ان من أعجب ما في مصر من الفوضى الدينية والادبية أن ينشر فيها مثل هذا الالحاد السخيف ويوجد في المسلمين من يثني عليه وعلى كاتبه بنصر الاسلام، والانفراد ببيان حقيقته للانام ، وينشر هذا الثناء في الجريدة التي نشرته ، ثم لا يجد من شيخ الازهر، ولا هيئة كبار العلماء فيه، ولا محرري مجلته التي سميت باطلا ( نور الاسلام ) من يخطئه ويبين له ولقراء كلامه أنه دعوة إلى إبطال الاسلام

وانني قد كلمت في هذا رئيس تحرير هذه المجلة إذ لقيته في دار سفارة الدولة الافغانية — وكان قد نشر في المجلة مقالا في الانتقاد على فريد أفندي وجدي — فقلت له ان هذه المقالات في الاسلام تتضمن الرد على مجلتكم ، وان الثناء عليها، من فئة لا تخلو من بعض الازهريين، والسكوت عليها منكم ومن سائر العلماء ، يتضمن نقض نقدكم، وترجيح فهمه للاسلام على فهمكم، الذي هو فهم المشيخة الرسمية وأتباعها فسكت، وكلمت أيضا بعض من لقيت من علماء الازهر في هذا المعنى

وأما ما يجب علي من ذلك فكنت معتمدا فيه على بحثي المستفيض في حقيقة الوحي المحمدي وحجة القرآن على جميع البشر الذي نشرت أكثره في تفسير المنار وطبعته في كتاب مستقل وهو يتضمن هدم كل ما في هذه المقالات من الباطل ، ومنه تفسير دين الفطرة فلما أهدى إلي الكتاب صار من الواجب علي شرعا أن أعجل بهذا النقد له قبل صدور كتاب ( الوحي المحمدي )